جامعة اليرموك

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

برنامج ماجستير التربية في الإسلام

الآثار التربوية للإيمان بالقضاء والقدر

إعداد الطالب

محمد فتحي لولو

إشراف

الدكتور حسين جابر بني خالد

مشرفاً شرعياً

الدكتور ماجد زكي الجلاد

مشرفاً تربوياً

الفصل الدراسي الثاني

العام الجامعي ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

جامعة اليرموك

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

برنامج ماجستير التربية في الإسلام

الآثار التربوية للإيمان بالقضاء والقدر

إعداد الطالب

محمد فتحي لولو

بكالوريس أصول الدين من الجامعة الإسلامية بغزة عام ١٩٩٧م- فلسطين

إشراف

الدكتور حسين جابر بني خالد	الدكتور ماجد زكي الجلاد
مشرفا شرعيا	مشرفا تربويا

قدمت الرسالة استكمالا لمتطلبات الماجستير في جامعة اليرموك تخصص التربية في الإسلام

لجنة المناقشة

د. حسين جابر بني خالد	مشرفا شرعيا
د . ماجد زكي الجلاد.....	مشرفا تربويا
أ.د. محمد علي العمري.....	مناقشا شرعيا
د. عقلة محمود الصمادي.....	مناقشا تربويا

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

إلى والديّ الحبيبين اللذين قدما
الكثير من أجلي
إلى زوجتي المخلصة التي تحملت معي
عناء الغربة والدراسة والبحث
إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء
إلى كل المخلصين الذين ضحوا
بكل ما يملكون في سبيل رفعة
هذا الدين
إلى كل زملائي وإخواني

أهدي عملي هذا

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، سبحانك لا نحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإنني أتقدم بخالص الشكر والعرفان لأستاذي الفاضل الدكتور حسين جابر بني خالد، الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة، حيث زودني بتوجيهاته، وإرشاداته القيمة ولم يدخر جهداً في سبيل إنجاز هذا البحث.

كما وأتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لأستاذي الفاضل الدكتور ماجد زكي الجلاد، الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة، وقدم لي كل جهد ونصح مما ترك أبلغ الأثر على خروج الرسالة بهذه الصورة.

كما أتوجه بالشكر ايضاً الى كل من الأستاذ الدكتور محمد علي العمري، والدكتور عقلة الصمادي، الذين تفضلا بقبول مناقشة هذا البحث، فاشكر لهما جهدهما الذي بذلاه في قراءة البحث وتصويب ما به من عثرات وتقدمه نحو الافضل.

كما لايسعني في هذا المقام، إلا أن أتوجه بالشكر العظيم للدكتور: شحادة حميدي العمري حفظه الله، والذي كان له عظيم الأثر بدخولي لهذا البرنامج وما كان يسديه لي من نصائح وارشادات.

كما وأتوجه بالشكر إلى كل العاملين في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، وأخص منهم السيد حسين فريد الإبراهيم.

وأخيراً أوجه شكري إلى كل من تفضل علي باسداء رأي أو تقديم عمل أو جهد، أو مساعدة، أو نصيحة خدمت البحث.

جزى الله الجميع خيراً ووفقهم لما يحبه ويرضاه إنه سميع مجيب الدعاء، وأسأله أن ينفعني بهذا العمل وينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير.

الملخص

هدفت الدراسة إلى إبراز الأثر الذي تركته عقيدة القضاء والقدر على الفرد والمجتمع المسلم، ببيان التصور الصحيح لهذه العقيدة، وفق منهج أهل السنة من السلف الصالح، وأهم ما يجنيه الفرد والمجتمع عند الإيمان بهذه العقيدة بمفهومها الصحيح، وما يترتب عن عدم الأخذ بها من أضرار تربوية وآثار سلبيّة عند فهمها على وجه غير صحيح.

وتحقيقاً لهذا الهدف فقد ضمت الدراسة ثلاثة فصول يمكن إجمالها بمايلي:

تضمن الفصل التمهيدي المقدمة، وأهداف الدراسة، ومشكلتها، وأهميتها، والإجراءات التي جرى اتباعها، والدراسات السابقة، كما بيَّن منهجية الباحث.

وتناول الفصل الأول الجانب التأصيلي للقضاء والقدر من خلال إبراز معنى القضاء والقدر لغةً واصطلاحاً، وبيان ما ورد من نهي عن الخوض فيه وتوجيهه، ثم عرض منزلة الإيمان بالقدر، من أركان الإسلام، والأدلة المبيِّنة على وجوب الإيمان به من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية، مع بيان الأدلة التفصيلية لمراتب القدر الأربع.

كما تناول مذهب أهل السنة للقضاء والقدر، وما جاء في ذلك من آثار في عهد النبي- صلى الله عليه وسلم- والصحابة الكرام- رضي الله عنهم، مع بيان بعض أقوال علماء المسلمين من أهل السنة.

واهتم الفصل الثاني بالآثار التربوية للإيمان بالقضاء والقدر في المجتمع المسلم، ومن خلال بيان أهم أسباب الخلاف في العقيدة بشكل عام، وأهم مسائل الخلاف التي حدثت في هذه المسألة، وأهم ما ترتب على هذا الخلاف من آثار سلبية،

وتوضيح الآثار التربوية للقضاء والقدر بمفهومه الصحيح، على الجوانب المختلفة للفرد والمجتمع، كالجانب الروحي والعقلي والأخلاقي.

واشتملت الخاتمة على نتائج الدراسة، والتي من أهمها التوصل إلى أن عقيدة القضاء والقدر بمفهومها الصحيح تستمد من القرآن الكريم والسنة الشريفة، وأن لها تأثير كبير على سلوك المؤمن بها، من خلال علاقته بربه، وتعامله مع أفراد مجتمعه، وما يحيط به من كون، وانعكاس ذلك على جوانب الحياة المختلفة.

كما وضحت توصيات الدراسة، والتي من أهمها دعوة القائمين على العملية التربوية الأخذ بعين الأعتبار أهمية غرس عقيدة القضاء والقدر في جيل المتعلمين عن طريق المناهج الدراسية، لما لها من تأثير على سلوك الفرد، وانعكاس ذلك على المجتمع في المستقبل.

وايضاً قيام الباحثين من طلبة الدراسات العليا بإجراء الدراسات التي تتناول أثر عقيدة القضاء والقدر في جوانب الحياة المختلفة بشكل موسع؛ مع ضرورة قيام بعض الأبحاث والدراسات الميدانية الهادفة إلى التعرف على أسباب عدم فهم هذه العقيدة لدى أفراد وطبقات المجتمع المختلفة، ووضع الحلول المناسبة التي تساعد في القضاء على تلك الظواهر السلبية.

الفهرست

الموضوع	الصفحة
الإهداء	جـ
الشكر و التقدير	د
الملخص بالعربية	هـ
قائمة المحتويات	ز
الفصل التمهيدي	**٣-٩**
المقدمة	٢
أهداف الدراسة	٤
مشكلة الدراسة	٤
أهمية الدراسة	٤
أسئلة الدراسة	٥
إجراءات الدراسة	٥
الدراسات السابقة	٦
الفصل الأول:معنى القضاء والقدر ومنزلته في العقيدة الإسلامية	**٩-٥٠**
المبحث الأول: مفهوم القضاء والقدر وحكم الخوض فيه	١٣
المطلب الأول: مفهوم القضاء والقدر لغة	١٤
أولاً: معنى القضاء والقدر لغة	١٤
١- معنى القضاء لغة	١٤
٢- معنى القدر لغة	١٦

ثانياً: معنى القضاء والقدر اصطلاحاً ١٨

المطلب الثاني: العلاقة بين القضاء والقدر ١٩

المطلب الثالث: ما ودر في النهي عن الخوض في القدر ٢١

المبحث الثاني: منزلة الإيمان بالقدر من أركان الإيمان ٢٣

المطلب الأول: منزلة الإيمان بالقضاء والقدر في أركان الإيمان ٢٣

المطلب الثاني: الأدلة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر ٢٥

أولاً: الأدلة العامة من القرآن الكريم ٢٦

ثانياً: الأدلة العامة من السنة النبوية ٢٦

ثالثاً: مراتب القضاء والقدر ٢٨

- مرتبة العلم ٢٨
- مرتبة الكتابة ٣٠
- مرتبة الإدارة والمشيئة ٣٢
- مرتبة الخلق ٣٤

المبحث الثالث: مذهب أهل السنة في القضاء والقدر ٣٦

المطلب الأول : القول بالقدر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام رضي الله عنهم ٣٦

أولاً: القول بالقدر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ٣٦

ثانياً: القول بالقدر في عهد الصحابة الكرام ٣٩

المطلب الثاني: أقوال بعض علماء المسلمين من أهل السنة ٤٢

أولاً: أبو الحسن الأشعري ٤٣

ثانياً: أبو يعلى محمد بن الحسين البغدادي ٤٣

ثالثاً: شيخ الإسلام، ابن تيمية ٤٤

الفصل الثاني: الآثار التربوية للإيمان بالقضاء والقدر ٤٦-٩٩

المبحث الأول: الآثار التربوية السلبية المترتبة على الفهم الخطأ للقضاء والقدر ٤٩

المطلب الأول: أهم أسباب الخلاف في أمور العقيدة ٥٠

السبب الأول: إتباع الهوى ٥٠

السبب الثاني: الاجتهاد والاختلاف في الموارد والأفهام ٥٠

- *أولاً:* أسباب داخلية ٥١

- *ثانياً:* أسباب خارجية ٥١

المطلب الثاني: أهم المعتقدات التي نشأت عن الفهم الخطأ للقضاء والقدر ٥٢

أولاً: مسألة علم الله تعالى ٥٢

ثانياً: مسألة الإرادة والمشيئة ٥٤

ثالثاً: مسألة التيسير والتخيير ٥٥

رابعاً: مسألة ترك العمل اتكالاً على الله ٥٦

المطلب الثالث: أهم ما تركته هذه المفاهيم من آثار على المجتمع الإسلامي ٥٧

المبحث الثاني: الآثار التربوية الإيجابية للإيمان بالقضاء والقدر ٦٠

المطلب الأول: الآثار التربوية في القضاء والقدر في الجانب الروحي ٦١

- *أولاً:* طريق الخلاص من الشرك ٦١

- *ثانياً:* الإخلاص في العبادة ٦١
- *ثالثا:* الصلة الدائمة بالله ٦٢
- *رابعاً:* الرزق والأجل ٦٤
- *خامساً:* التوكل والأخذ بالأسباب ٦٦
المطلب الثاني: الآثار التربوية في الجانب العقلي ٦٩
اولاً: الإتباع وعدم الابتداع ٧٠
ثانياً: عدم الظن ٧٢
ثالثاً: الدعوة إلى العلم النافع ٧٤
رابعاً: الدعوة إلى العمل الجاد ٧٦
المطلب الثالث: الآثار التربوية في الجانب الجسمي ٧٧
- *اولاً:* العافية وبناء الجسم ٧٧
- *ثانياً:* الوقاية من الأمراض ٨٠
المطلب الرابع: الآثار التربوية في الجانب النفسي ٨٢
اولاً: السكينة والطمأنينة ٨٢
ثانياً: الصبر والرضا ٨٤
ثالثاً: العزة والكرامة ٨٧
رابعاً: الشجاعة والإقدام ٨٨
المطلب الخامس: الآثار التربوية في الجانب الأخلاقي ٩٠
اولاً: الحسد ٩١
ثانياً: الكبر ٩٢

ثالثاً: البخل ٩٤

المطلب السادس: الآثار التربوية في الجانب الاجتماعي ٩٧

أولاً: السلوك القويم ٩٨

ثانياً: التكافل الاجتماعي ٩٨

الخاتمة ١٠٠-١٢٢

النتائج ١٠١

التوصيات. ١٠٢

فهرس الآيات ١٠٣-١٠٧

فهرس الأحاديث ١٠٨-١٠٩

فهرس الأعلام. ١١٠

قائمة المصادر والمراجع. ١١١-١٢٠

ملخص الرسالة بالإنجليزية. ١٢١

الفصل التمهيدي

الفصل التمهيدي

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آل بيته وعلى صحابته الطيبين الطاهرين، وعلى من سار على دربهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

يعد موضوع القضاء والقدر من أهم الموضوعات التي احتلت الصدارة في الفكر الإنساني على مر العصور والأزمنة المختلفة، والتي قامت حوله تصورات ومعتقدات كثيرة طالت جميع الديانات على اختلاف مشاربها وأطيافها.

لهذا كان للرسل -عليهم السلام- الدور البارز في إظهار هذه العقيدة على الوجه الصحيح، وأنها أحد أهم أركان الإيمان الذي لا يستقيم إيمان العبد إلا به.

وهذا ما قام به رسولنا- صلى الله عليه وسلم -كغيره من إخوانه الأنبياء -عليهم السلام -غاية البيان، وتبعه من بعده صحابته -رضي الله عنهم- الذين ساروا على المنهج الذي خطه لهم.

إلا أن هذا الحال لم يدم طويلا، حيث بدأ ظهور الفرق المختلفة، وعلى رأسها القدرية في البصرة ودمشق، الذين نفوا القدر، فتصدت لهم البقية الباقية من الصحابة - رضي الله عنهم- منكرين عليهم بدعتهم ومبينين للناس خطأهم في هذه المسألة.

ثم اتسع القول بهذه المسألة -القضاء والقدر- مع غيرها من مسائل العقيدة، بميلاد فرق جديدة، تأثرت بعد ترجمة الفلسفات المختلفة ودخولها بلاد المسلمين، مما أدى الى انتشار بعض الأفكار والمعتقدات الخاطئة، التي تقدح في صحة كثير من المسائل العقائدية

والتعبدية، وما نشأ عنها من مشكلات كثيرة أثرت على الفرد والمجتمع المسلم على حـــد سواء.

لذلك كان من الواجب طرح هذا الموضوع الهام، وتناوله وفق المنـــهج الصحيـــح الذي خطه المصطفى- صلى الله عليه وسلم- ومن تبعه من الصحابة والتابعين وعلمـــاء السلف من أهل السنة، بعيداً عما ذهب إليه أصحاب الفرق الكلامية والباطنية في تناولـــهم لهذه المسألة، من أجل الوقوف على الفهم الصحيح، وبيان الغث من السمين لما استشـــرى في المجتمع المسلم من أفكار دخيلة، وأخيراً بيان أهم الآثار التربوية المترتبة على هـــذه العقيدة وانعكاس ذلك على الفرد والمجتمع المسلم في شتى جوانب الحياة.

أهداف الدراسة

هدفت الدراسة إلى بيان ما يلي:

١- بيان عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر وفق منهج أهل السنة، للقناعة بصحة ما ذهبوا إليه.

٢- بيان الصفات والمفاهيم الإسلامية التي ينبغي أن يمتثلها المسلم عند الإيمان بهذه العقيدة.

٣- بيان الآثار التربوية المترتبة على الإيمان بهذه العقيدة على الوجه الصحيح، أو ما قد يخالفه.

مشكلة الدراسة

١- عدم فهم بعض المسلمين لعقيدة القضاء والقدر فهما سليما، مما انعكس ذلك بالسلب على سلوكهم في حياتهم المعاشة.

٢- عدم انعكاس فهم بعض المسلمين للقضاء والقدر بمفهومه الصحيح على واقعهم المعاش فكرا وسلوكا، وبيان أهم الآثار التي تنعكس بفعل ذلك.

أسئلة الدراسة

ستجيب هذه الدراسة تحديدا عن الأسئلة الآتية:

١- ما التصور الصحيح لعقيدة الإيمان بالقضاء والقدر وفق منهج أهل السنة من السلف الصالح؟

٢- ما الآداب المترتبة على الإيمان بهذه العقيدة فكرا وسلوكا؟

٣- ما الآثار التي يجنيها الفرد والمجتمع المسلم عند الإيمان بهذه العقيدة، أو عند عدم الإيمان بها على الوجه الصحيح؟

أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة من الأمور الآتية:

١- كون القضاء والقدر من أهم موضوعات العقيدة التي تمس حياة الناس اليومية وما يترتب عليها من ثواب وعقاب في الدنيا والآخره.

٢- الحاجة إلى فهم هذا الموضوع باعتباره جزءاً من عقيدة الإيمان بالله.

٣- عدم وجود الدراسات التي تناولت هذا الموضوع من الناحية التربوية، بل إن أغلب الكتب والدراسات التي تناولته، لم تبرز أهم الآثار التي تترتب عليه إلا بشكل عام ويسير لا يعطى لهذا الموضوع حقه.

إجراءات الدراسة

١- استخراج الآيات والأحاديث التي تتعلق بعقيدة القضاء والقدر.

٢- البحث في كتب التفسير عن معاني الآيات واستنباط الآثار التربوية التي تمس صلب الموضوع.

٣- البحث في كتب شروح الحديث عن المعاني والأقوال التي تتناول هذه العقيدة واستنباط الآثار التربوية منها.

٤- البحث في كتب التراث التي تناولت عقيدة القضاء والقدر بشكل خاص، والإستفادة منها في استنباط الآثار التربوية التي تمس الدراسة.

٥- سلك الباحث في دراسته المنهج التحليلي والاستقرائي بالرجوع إلى الكتب والدراسات التي تناولت الموضوع، والوقوف على النصوص وتحليلها تحليلاً تربوياً، من أجل إبراز الآثار التربوية الموجودة فيها، ومن أمثلة ذلك: أن من أهم ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر في الجانب الروحي، اتصال المؤمن الدائم بالله، وهذه الصلة تجعله دائم الشعور بمراقبة الله له، وأنه خاضع له في حركاته وسكناته، فيدفعه ذلك

إلى مراقبة نفسه ومحاسبتها على ما أقدمت عليه من أعمال، لقوله تعالى: "يآيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون" (الحشر:١٨)، فاستفاد الباحث من تعليق سيد قطب، في تفسير ظلال القرآن في هذه المسألة من قوله "فحينما تستقر هذه الحقيقة في نفس الإنسان فإنها تهذب نفسه، وتربيها تربية إيمانية توجه سلوكه إلى الخير، وتحد من كبريائه وطغيانه، وتردُه إلى مخافة الله ومهابته، وإلى الشعور بجلال الله وعظمته، والأدب في حقه، والتحرج من الاستكبار على عبادته، فهي اعتقاد وتصور، وهي عمل وسلوك".(١)

الدراسات السابقة

عند الوقوف على الدراسات والكتابات والبحوث التي تناولت الموضوع، لم يقف الباحث على أي دراسة هدف مؤلفها إلى ابراز الآثار التربوية بشكل رئيس، وانما اهتمت جميعها بالجانب التأصيلي لعقيدة القضاء والقدر، مع التركيز على تناول أقوال الناس والفرق المختلفة في هذه العقيدة، ومحاولة كل باحث إثبات صحة ما ذهب إليه من قول ورأي والدفاع عنه.

إلا أن هناك دراسة عامة تناولت عقيدة القضاء والقدر تحت عنوان "الإيمان بالقضاء والقدر" قام بها الباحث "محمد ابراهيم الحمد" عرض في ثناياها لبعض الآثار التربوية لهذه العقيدة بشكل عام، وقال في مقدمة هذه الآثار: "الإيمان بالقضاء والقدر يثمر ثمرات جليلة، وأخلاقاً جميلة، وعبوديات متنوعة، يعود أثرها على الفرد والجماعة في الدنيا والآخره".(٢)

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢٨٧/١-٢٩٠ بتصرف.

(٢) محمد إبراهيم الحمد، الإيمان بالقضاء والقدر، ص٢١.

ومن أهم الثمرات التي ذكرها:"أداء عبادة الله، الخلاص من الشرك، حصول الهداية وزيادة الإيمان ، الإخلاص، التوكل..."

كما عثر الباحث على دراسة للباحثة "طريفة سعود الشويعر" تحت عنوان "القضاء والقدر وأثره على القلق النفسي". (١)

هدفت هذه الدراسة إلى استقصاء أثر عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر على القلق النفسي، حيث قامت الباحثة بتوزيع إستبانة على (٢٠٠) طالبة من طالبات كلية التربية للبنات بجدة من طالبات السنتين الثالثة والرابعة، اشتملت على ثلاثة محاور هي:

١-التلازم بين الدين والإنسان، وكيف أن افتقاد الفرد للدين في حياته من أهم عوامل ظهور القلق عليه.

٢-أثر الإيمان بالله تعالى على النواحي المختلفة لحياة البشر، ومدى تأثيره على الصحة النفسية.

٣-مفهوم القضاء والقدر على اعتبار أنه الركن الهام من أركان الإيمان الذي يستمد منه الفرد القوة والصمود على مواجهة مشاق الحياة، وهو يدرك معه بأن رزقه مقسوم وأجله محدود، وبهذا يُمكنه أن يواجه المستقبل دون خوف أو وجل بل يلقاه آمناً مطمئناً لأن إيمانه هو مصدر أمنه.

واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي الإحصائي لقياس المتغيرات الخاصة ببحثها وهي القلق النفسي، والإيمان بالقضاء والقدر، حيث استخدمت الاختبارات النفسية لقياس ظاهرة القلق النفسي، كمقياس (كاتل) إلى جانب الاستعانة بالأسلوب الاكلينيكي بإجراء المقابلة الشخصية لعدد من الحالات.

---

(١) طريفة سعود الشويعر، الإيمان بالقضاء والقدر وأثره على القلق النفسي، رسالة ماجستير منشورة، كلية البنات- جدة.

أما فيما يتعلق بالجانب الديني فإن الباحثة اتفقت مع غيرها من الباحثين في ضرورة أن يقاس الإيمان عن طريق مقياس مقنن، نظراً لصعوبة إتباع غيره من طرق القياس، لأن معظم المقاييس التي استخدمت في الدراسات السابقة، صيغت عبارتها بطريقة مباشرة قد توحي للمفحوصين باختيار الإجابة المستحسنة اجتماعياً، ولتجنب ذلك حاولت الباحثة أن تتلافى النص المباشر عند تصميم مقياس الإيمان بالقضاء والقدر، فقد صاغت عبارات المقياس بالطريقة الإسقاطية.

واستخدمت الباحثة الأسلوب الإحصائي التالي لتحليل نتائجها:

تم استخراج قيمة معامل الارتباط بين درجات مقياس القلق النفسي، ودرجات الإيمان بالقضاء والقدر، كما تم استخراج قيمة المتوسطات، والانحراف المعياري، ثم دراسة الفروق بينهما باستخدام اختبار (ت).

وكانت نتيجة الدراسة أن الطالبات اللواتي امتزن بقوة الوازع الديني وفهم صحيح لعقيدة القضاء والقدر أقل عرضة للقلق النفسي من الطالبات الأقل تميزاً في التدين وفهمهن غير صحيح لعقيدة القضاء والقدر.

كما وقف الباحث على عدد كبير من الدراسات والكتب التي تناولت أركان الإيمان بشكل عام، وعرضت في ثناياها لعقيدة القضاء والقدر، وأيضاً بعض الكتب العامة التي ذكرت هذه العقيدة وبعض آثارها التربوية، والتي من أهمها :

وهبي الألباني (١٩٨٤م)، عبدالكريم زيدان (١٩٨٦م)، محمد نعيم ياسين (١٩٨٥) وعبدالرحمن المحمود (١٩٩٤م)، وكان من أهم ما أبرزته هذه الدراسات من آثار تربوية لعقيدة القضاء والقدر بشكل عام ما يلي:-

١-رضا الإنسان الدائم المستمر على كل ما يجري في الحياة الدنيا، كونه قضاء الله وقدره.

٢-أن سعة الرزق وضيقه يرجع إلى قضاء الله وقدره، فيقبل الإنسان على تحري الحلال في عمله وكسبه ويتجنب الحرام في ذلك.

٣-أن الحياة والموت بقضاء الله وقدره، فيقدم الإنسان على المخاطر في سبيل الله.

٤-أن هذا الإيمان يدفع المؤمن به إلى طاعة الله والإقبال عليه بكل عزم وجد وقوة.

٥-أن الإيمان بالقضاء والقدر يكون سبباً في حفظ المؤمن من كثير من الأمراض الأخلاقية كالكبر والبخل، ويحفظه أيضاً من بعض الآثار النفسية كالحَزَن عند حدوث المصائب المختلفة.

من هنا رأى الباحث أن تلك الدراسات لم تعط الموضوع حقه؛ فجاء هذا البحث ليكمل النقص الموجود في الدراسات التي تناولت الآثار التربوية للقضاء والقدر بشكل يسير، بتناول الفصل الثاني من هذا البحث لأهم الآثار التربوية لهذه العقيدة في الجانب الروحي والعقلي الجسمي والنفسي والأخلاقي والاجتماعي؛ وما يندرج تحتها من جوانب تربوية هامة لم تعرض لها جميع الدراسات السابقة إلا بالنذر اليسير وبشكل عام، بعيداً عن التقسيمات التي وضعها الباحث وانفرد بها وامتازت بها هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع.

الفصل الأول

القضاء والقدر ومنزلته في العقيدة الإسلامية

الفصل الأول

القضاء والقدر ومنزلته في العقيدة الإسلامية

المبحث الأول : مفهوم القضاء والقدر وحكم الخوض فيه

المبحث الثاني: منزلة الإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان

المبحث الثالث: مذهب أهل السنة في القضاء والقدر

الفصل الأول

القضاء والقدر ومنزلته في العقيدة الإسلامية

يتناول هذا الفصل موضوعاً من أهم الموضوعات المتعلقة بـــالعقيدة الإســـلامية، حيث يناقش موضوع القضاء والقدر على الوجه الصحيح، بعيداً عن مسائل الخلاف التـــي حدثت بين الفرق الإسلامية على شتى آرائها وتصوراتها، وذلك ببيان رؤية للموضوع من خلال نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة ، وما سار عليه الصحابة الكـــرام والسلف الصالح من علماء الأمة، بعيداً عن منهج المتكلمين و الفلاسفة، بهدف الخـــروج بشكل يعطي الموضوع (القضاء والقدر) حقه من كافّة جوانبه.

اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث هي على النحو الآتي:

تناول المبحث الأول مفهوم القضاء والقدر حكم الخوض فيه.

وبين المبحث الثاني منزلة الإيمان بالقضاء والقدر من بين أركان الإيمان الستة.

وعرض المبحث الثالث لمذهب أهل السنّة في القضاء والقدر.

المبحث الأول

مفهوم القضاء والقدر وحكم الخوض فيه

تعد كلمتي القضاء والقدر من الألفاظ المشتركة ذات اللفظ الواحد والمعاني الكثيرة، فعند إطلاق أحد اللفظين فإنه يراد به الآخر، وعند اجتماعهما يصبح لكلٍ منهما معنىً يختص به.

ولم يختلف المسلمون الأوائل في معنى القضاء والقدر إلا بعد ظهور الفرق الإسلامية المختلفة، التي تأثرت بالفلسفة اليونانية وغيرها من الثقافات والفلسفات الأخرى.

وسيتناول هذا المبحث معاني القضاء والقدر كما وردت في آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم–، وكما عرّفها علماء الإسلام، بعيداً عما ذهبت إليه الفرق الإسلامية المختلفة في تناولها لهذا الموضوع، وأخيراً تناول بعض الأحاديث الواردة في النهي عن الخوض في القضاء والقدر، وتوجيهها التوجيه الصحيح.

المطلب الأول

مفهوم القضاء والقدر لغة

أولاً : معنى القضاء والقدر لغة

١- معنى القضاء لغة

هو بالمد، ويقصر، أصله: قضاي، فلما جاءت الياء بعد ألف زائدة متطرفة همزت، وجمعه أقضية[١].

قال ابن فارس: "القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته "[٢].

وقال ابن الأثير: "القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه، وكل ما أُحكم عمله، أو أُتمَّ ، أو أُدِّي، أو أُوجب، أو أُعلم، أو أُنفذ، أو أُمضي، فقد قضي، وقد جاءت هذه الوجوه كلّها في الأحاديث " [٣].

يتبين مما تقدم أن معنى القضاء في اللغة هو إحكام الشيء وإتمام الأمر، وهذا هو أصل معنى القضاء، وإليه ترجع جميع معاني القضاء الواردة في اللغة [٤].

---

(١) الجوهري، مختار الصحاح، ٢٤٦٣/٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ١٨٦/١٥؛ الزبيدي، تاج العروس، ٢٩٦/١٠.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٩٩/٥.

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٧٨/٤؛ ابن منظور، ١٨٦/١٥.

(٤) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص: ٤٢٢.

وقد ورد لفظ القضاء ومشتقاته كثيراً في القرآن الكريم[1]، وهي على اختلاف اشتقاقاتها وتداخلها أحياناً ترجع إلى الأصل السابق، فمن المعاني التي ورد بها:

معنى الأمر[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ﴾ (الإسراء: ٢٣)، أي: أمر- سبحانه وتعالى- بعبادته وحده لا شريك له.

معنى الأداء والإنهاء[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ ۚ﴾ (الحجر: ٦٦)، أي: تقدمنا إليه وأنهينا.

معنى الحكم[4]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ...﴾ (طه: ٧٢)، أي: اصنع واحكم وافعل ما شئت وما وصلت إليه يدك[5].

معنى الفراغ[6]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ...﴾ (فصلت: ١٢)، أي: فرغ من تسويتهن سبع سموات في يومين، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ...﴾ (القصص: ٢٩)، أي: فرغ من الأجل الأوفى والأتم.

---

(١) انظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة قضى، ص: ٥٤٦-٥٤٧.

(٢) ابن منظور، مرجع سابق، ١٨٦/١٥؛ الزبيدي، مرجع سابق، ٢٩٦/١٠.

(٣) الجوهري، مرجع سابق، ٢٤٦٣/٦؛ ابن منظو، مرجع سابق، ١٨٧/١٥.

(٤) الجوهري، مرجع سابق، ٢٤٦٣/٦؛ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ١٤١/٣؛ ابن منظور، مرجع سابق، ١٨٦/٥.

(٥) الطبري، تفسير الطبري، ٢٠٨/٥؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٩٨/٥.

(٦) الجوهري، مرجع سابق، ٢٤٦٣/٦؛ ابن منظور، مرجع سابق، ١٨٦/١٥-١٨٧.

معنى الأداء[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ...﴾ (البقرة: ٢٠٠)، أي: أديتموها وفرغتم منها، وهذا داخل في المعنى السابق.

معنى الإعلام[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ...﴾ (الإسراء: ٤)، أي: تقدمنا وأخبرنا بني إسرائيل في الكتاب الذي أنزل إليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين[3].

وبمعنى الموت، قال تعالى : ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ...﴾ (القصص: ١٥)، أي: ضربه فقضى عليه، أي: قتله [4].

٢- معنى القدر لغة:

قدر: "القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته"[5]، وهو بتسكين الدال وفتحها مع فتح القاف[6]، قال اللحياني: "إن القدر بالفتح الاسم، والقدر بالسكون المصدر". وقد تكرر ذكر القدر في الحديث، وهو عبارة عما قضاه اللّه وحكم به من الأمور، وهو مصدر :قَدَرَ يقدُرُ قدرا، وقد تسكَّن داله[7] .

---

(١) الجوهري، مرجع سابق، ٢٦٦٤/٦؛ الفيروزأبادي، مرجع سابق، ٦٤١/٣.

(٢) ابن منظور، مرجع سابق، ١٨٧/١٥.

(٣) الطبري، مرجع سابق، ٩/٥-١٠؛ ابن كثير، مرجع سابق، ٤٣/٥.

(٤) الجوهري، مرجع سابق، ٢٤٦٣/٦؛ ابن منظور، مرجع سابق، ١٨٧/١٥.

(٥) ابن فارس، مرجع سابق، ٦٢/٥.

(٦) الجوهري، مرجع سابق، ٧٨٦/٢.

(٧) ابن الأثير، مرجع سابق، ٢٢/٤_٢٣.

ويطلق القدر على الحكم و القضاء[1] ومن ذلك حديث الاستخارة وفيه: **(فاقْدِرْهُ لي ويسِّرْهُ لي)**. [2] "وقدَّرت الشيْ أقدِّره من التقدير، ومنه الحديث: **(فإن غُمَّ عليكم فاقْدِرُوا له)**[3] أي: قدِّروا له عدد الشهر حتى تكملوه ثلاثين يوماً، وقيل: قدِّروا له منازل القمر، فإنه يدلكم على أنَّ الشهر تسع وعشرون أو ثلاثون . [4]

وهناك معاني كثيرة لكلمة القدر منها:

المقدار:كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر:٤٩)، أي: بمقدار قدَّرناه

العلم: كما في قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ (القمر:١٢)، أي: على أمرٍ قد عُلم في سابق علم اللَّه -سبحانه وتعالى- وتحتم تحققه.

التضييق: كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ (الفجر:١٦).

بمعنى جعل: كما في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان :٢)، أي: جعله -سبحانه وتعالى- على أوضاع مقدَّرة .

---

(١) ابن منظور، مرجع سابق، ٧٤/٥.

(٢) رواه البخاري، فتح الباري، كتاب التهجد، باب: ما جاء في التطوع مثنى مثنى، ٤٨/٣.

(٣) رواه البخاري، فتح الباري، كتاب الصوم، باب: قول النبي _صلَّى اللَّه عليه وسلَّم_: (إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فافطروا)، رقم الحديث ١٩٠٦، ١١٩/٤؛ ورواه مسلم: صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب: وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، رقم الحديث: ١٠٨٠، ٧٥٩/٢.

(٤) ابن الأثير، مرجع سابق، ٢٣/٤.

المطلب الثاني

العلاقة بين القضاء والقدر

اتفق علماء أهل السنَّة على أن القضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس، والآخر بمنزلة البناء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه.

إلا أنهم اختلفوا في التفريق بين القضاء والقدر على النحو التالي:

القول الأول: ما نقله الإمام ابن حجر، والإمام البدر العيني، بالتفريق بينهما بأن **القضاء**: هو الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل، **والقدر**: الحكم بوقوع الجزئيات لتلك الكليات على سبيل التفصيل[1].

القول الثاني : أن القدر هو التقدير، والقضاء هو التفصيل والتقطيع، فالقضاء أخص من القدر الذي هو كالأساس[2].

القول الثالث: قول الماتريدية[3] ، وقد فرقوا بينهما: بأن القضاء هو الخلق الراجع إلى التكوين، أي: الإيمان على وفق القدر السابق، والقدر هو ما يتعلق بعلم الله الأزلي، وذلك بجعل الشيء بالإرادة على مقدار محدد قبل وجوده.

---

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، مرجع سابق، ١١ /١٤٩ و١١/٤٧٧؛ البدر العيني، عمدة القاري، ٢٣/١٤٥.

(٢) الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ص: ٤٢٢.

(٣) هم اتباع أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، نسبة إلى ماتريد (محلة بسمر قند) فيما وراء النهر، وهو من أئمة علم الكلام، له مؤلفات كثيرة منها تفسيره المسمى تأويلات أهل السنة، وله أيضاً بيان وهم المعتزلة، ومأخذ الشرائع في أصول الفقه وغيرها. توفي سنة ٣٣٣هـ. (الزركلي، مرجع سابق، ٧/٢٤٢).

القول الرابع: قول الأشاعرة[1]:

أ- أن **القضاء** هو إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على وفق ما توجد عليه في وجودها الحادث.

ب- **والقدر** إيجاد الله الأشياء على مقاديرها المحددة في كل ما يتعلق بها[2].

هكذا فرق العلماء بين القضاء والقدر، إلا أن المتأمل في المعنى اللغوي لكل من القضاء والقدر يجد أن القدر هو التقدير، والقضاء هو الحكم والإيجاد، أي أن القدر هو ما قدره الله - سبحانه وتعالى- في الأزل على هيئات مخصوصة، والقضاء هو إنفاذ هذه التقديرات أو إعدامها أو تغييرها،فيتضح أن قول القائلين بأسبقية القدر على القضاء هو الأقرب إلى الصواب، والله أعلم.

---

(١) هم من ينسبون إلى علي بن إسماعيل بن إسحاق، المشهور بأبي الحسن الأشعري، وقد ولد الأشعري سنة ٢٦٠ هـ، وكان على مذهب المعتزلة ثم تركه، ورد على المعتزلة فانتشر مذهبه ونسب إليه الأشاعرة، ولكنه في المرحلة الأخيرة من حياته رجع إلى القول الحق، وإن كانت بقيت عليه بقايا من مذهب المعتزلة على القول الراجح (الزركلي ، مرجع سابق ، ٦٩/٥).

(٢) الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص : ٦٢٦.

المطلب الثالث

ما ورد في النهي عن الخوض في القدر

إن المتأمل لمسألة (القضاء والقدر) والخوض فيها، يواجه بعض الاعتراضات على جواز البحث والخوض فيه، حيث يستدل هؤلاء المعترضون بأحاديث وردت في النهي عن الخوض في هذه المسألة، وأيضاً في كون أصل القدر سر الله، لم يطّلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وسيتناول المطلب بعض هذه الأحاديث، وما فيها من خلاف استدلَّ به المعترضون على عدم جواز الخوض في القدر، وبيان المسألة على الوجه الصحيح:

١- فعن ثوبان- رضي الله عنه- ، عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: **(إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا)**[١].

٢- كما روى أبو هريرة- رضي الله عنه- ، أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال للصحابة لما تنازعوا في القدر: **(عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه)** [٢].

---

(١) رواه الطبراني، المعجم الكبير، حديث رقم ١٤٢٧، ٩٣/٢؛ وقال الهيثمي: "فيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف"، مجمع الزوائد، ٢٠٢/٧؛ وفي رواية أخرى عن عبدالله بن مسعود بلفظ: (إذا ذكر النجوم فأمسكوا) بدلاً من (إذا ذكرت النجوم فأمسكوا)، أوردها الطبراني، المعجم الكبير؛ وقال الهيثمي: "فيه ميسرّة بن عبد الملك، وثقة ابن حبان وغيره، وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح"، مجمع الزوائد، ٢٠٢/٧؛ وقد رواه ابن عدي في الكامل عن ابن مسعود، وثوبان، كما رواه بن عدي أيضاً عن عمر، وقد رمز له السيوطي بعلامة الحسن، لكن تعقبه المناوي فقال: "وقال ابن رجب: روي من وجوه في أسانيدها كلها مقال، وبه يعرف ما في رمز المؤلف لحسنه... ، ولعله اعتضد"، المناوي، فيض القدير، ٣٨٤/١؛ والحديث صححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم ٣٤، ٤٢/١، وصحيح الجامع الصغير، رقم ٥٤٥، ١٥٥/١.

(٢) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، رقم الحديث ٢٢١٦،٣٠٠/٣، وقال حديث حسن صحيح؛ ورواه ابن ماجة، سنن ابن ماجة، في المقدمة، باب في القدر، ورقم الحديث ٨٥، ٣٣/١؛ والحديث حسنه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح رقم ٩٨-٩٩، ٣٦/١.

وهذه الأحاديث يفهم من ظاهرها الإمساك عن الكلام في القدر مطلقاً، ولكن الأمر ليس كذلك، غذ النهي فيها منصب على الخوض في مسائل القضاء والقدر على وجه التنازع والاعتراض على الله، لا على وجه المعرفة الصادقة من الأدلة الصحيحة، إذ كيف ينهى عن البحث في القدر وهو ركن من أركان الإيمان، ولقد وردت فيه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة؟ وقد ورد في الأحاديث نفسها ما يدل على ذلك، فقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : (**إذا ذكر أصحاب فأمسكوا ...**)، فهل معناه الإمساك عن ذكر الصحابة وفضائلهم وجهادهم؟ أم أن النهي منصب على شيء معين؟ هو الإمساك عن ذكرهم بالباطل.

مع أن أئمة السلف الصالح من العلماء ألفوا في هذا الباب، بل وأطنبوا فيه، فلو قلنا بمنع الحديث عن القدر لضللناهم، كما أننا لو تركنا الحديث عن القدر لجهل الناس به، ولربما انفتح الباب لأهل البدعة والضلالة ليروجوا باطلهم، ويلبّسوا على المسلمين دينهم.[1]

وهذا يعني أن الكلام في القدر أو البحث فيه بالمنهج العلمي الصحيح غير مُحرَّم أو منهي عنه، وإنما الذي نهى عنه الرسول -صلى الله عليم وسلام- هو التنازع في القدر.[2]

---

(1) انظر: عبد الرحمن المحمود، القضاء والقدر في الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، ص١٧-١٨؛ محمد الحمد، مرجع سابق، ص ١٢-١٣.

(2) فاروق الدسوقي، القضاء والقدر في الإسلام، ٣٦٨/١.

المبحث الثاني

منزلة الإيمان بالقدر من أركان الإيمان

المطلب الأول

منزلة الإيمان بالقضاء والقدر في أركان الإيمان

الإيمان بالقضاء والقدر من العقائد الإسلامية التي أسست على الإيمان بالله -عز وجل-، وبنيت على المعرفة الصحيحة لذاته تعالى وأسمائه الحسنى، وصفاته العظمى الواجبة له تعالى، فقد جاء فيما يجب الإيمان به أن الله تعالى متصف بالعلم والإرادة والقدرة، وأنه -سبحانه- فعّال لما يريد[1].

فالناس بالنسبة إلى الإيمان بالقضاء والقدر على صنفين؛ الصنف الأول يؤمن بالقدر خيره وشره، وأن ما يجري في الكون من أحداث كلها أتيه من عند الله الذي برأها وقدّرها، والصنف الثاني على خلاف هذا التصور.

فالصنف الأول قد آمن بالله حقاً، لأن الإيمان بالقدر من لوازم الإيمان بالله، وأما الصنف الأخر فقد أشرك بالله، إذ ليس الشرك محصوراً في تقديم شعائر التعبد بغير الله، ولا التحليل والتحريم من دون الله. إنما يكون الشرك في هذه الحالة في أصل الاعتقاد في (لا إله إلا الله) . فتصور أي إنسان أن أحداث الكون وتصاريف الحياة تأتي من أي مصدر غير الله – سبحانه وتعالى – هو شرك في أصل الاعتقاد، ومعناه أن الله ليس هو المتصرف وحده في شؤون الكون إنما هناك من يشترك معه في هذا الشأن[2].

---

(١) حسن أيوب ، تبسيط العقائد الإسلامية ، ص: ١٠٣.

(٢) انظر: محمد قطب، ركائز الإيمان، ص: ٤٢٣-٤٢٤ بتصرف.

ومن ثم فقد لزم أن يؤمن الإنسان بالقضاء والقدر، وأنه لا يحدث شيء في الكون كله إلا بتقدير الله، وإلا فهو ليس بمؤمن أصلاً بـ (لا إله إلا الله). وعلى هذا الأساس قامت عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، فكان الإيمان بها متمماً للإيمان بالله تعالى وصفاته، وعنصراً من حقيقته المشرقة[1].

وترجع أهمية هذا الركن بين بقيّة أركان الإيمان إلى أمور عدة:

الأول: ارتباطه مباشرة بالإيمان بالله تعالى، وكونه مبنياً على المعرفة الصحيحة بذاته تعالى وأسمائه الحسنى، وصفاته الكاملة الواجبة له ، وقد جاء في صفاته –سبحانه– صفة العلم والإرادة والقدرة والخلق، ومعلوم أن القدر إنما بني على الفهم الصحيح لهذه الصفات[2].

ولا شك أن الإقرار بتوحيد الله وربوبته لا يتم إلا بالإيمان بصفاته، فمن زعم أن هناك خالقاً غير الله – تعالى– فقد أشرك ، والله خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد(٣).

الثاني: حين ننظر إلى هذا الكون ونشأته وخلق الكائنات فيه، ومنها الإنسان، نجد أن كل ذلك مرتبط بالإيمان بالقدر، فالإنسان يوجد على هذه الأرض وينشأ تلك النشأة الخاصة، ويعيش ما شاء الله في حياة متغيرة فيها الصحة والسقم، والغنى والفقر، والقوة والضعف، والنعم والمصائب، والفرح والحزن...، فينظر الإنسان من حوله اختلاف وتفاوت الناس في هذه الصفات والنعم التي أرادها الله حلاً وتفسيراً ومخرجاً لها في العقيدة الصحيحة القائمة على أن لله حكمة في ذلك، وعليه أن يؤمن بتقدير الله وقضاءه ذلك.

---

(١) حسن أيوب، مرجع سابق، ص: ١٠٣.

(٢) حسن أيوب، مع الله في صفاته وأسمائه الحسنى، ص: ١١٦.

(٣) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطُّحاوية، ص: ٣٠٤.

ومعلوم أن السنة قد ورد فيها التنصيص على الإيمان بالقدر ضمن أركان الإيمان كما سيأتي ذكره في المطلب اللاحق [1]، والسنة كذلك هي المبينة والشارحة لمجمل القرآن الكريم والأحكام المتعلقة بآياته.

المطلب الثاني

الأدلة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقدر أحد أصول الإيمان، وقد بين الكتاب والسنة مفهوم القدر، وبين الرسول - صلى الله عليه وسلم- أن العمل والأخذ بالأسباب هو من القدر، وأن الأخذ بالأسباب لا ينافيه ولا يناقضه، وحذر أمته من الذين يكذبون بالقدر، أو يعارضون به الشرع.

والأدلة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر كثيرة جداً، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

١- الأدلة العامة من القرآن الكريم.

٢- الأدلة العامة من السنة النبوية.

٣- الأدلة التفصيلية لوجوب الإيمان بكل مرتبة من مراتب القدر.

---

(١) انظر صفحة: ٢٦.

أولاً: الأدلة العامة من القرآن الكريم

وردت في كتاب الله- سبحانه وتعالى- آيات تدل على أن الأمور تجري بقدر الله، وعلى أن الله- تعالى- علم الأشياء وقدّرها في الأزل، وأنها ستقع على وفق ما قدرها الله- سبحانه وتعالى-، ومن هذه الآيات:

١- قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ (الأحزاب: ٣٨).

٢- وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩).

٣- وقوله تعالى عن موسى- عليه السلام-: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ (طه: ٤٠)، أي: أنه جاء موافقاً لقدر الله تعالى وإرادته على غير ميعاد(١).

ثانياً: الأدلة العامة من السنة النبوية

١- حديث جبريل المشهور الذي رواه عبد الله بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - وفيه: **(قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت...)**(٢).

---

(١) ابن كثير، مرجع سابق، ٢٨٧/٥.

(٢) رواه مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، رقم ١، ٣٦/١؛ والترمذي، سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في وصف جبريل للنبي الإيمان والإسلام، رقم ٢٧٣٨، ١١٩/٤؛ وأبو داود، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر، ورقمه ٤٦٩٥، ٢٢٣/٤؛ ورواه النسائي، سنن النسائي، كتاب الإيمان، باب نعت الإسلام، حديث رقم ٤٩٩٠، ٩٧/٨.

وفي رواية أخرى: (عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: **كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوماً بارزاً للناس، فأتاه رجل فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر، قال: ما الإسلام...الحديث**)(١).

٢- حديث علي – رضي الله عنه- قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: **(لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، وبالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر)**(٢).

٣- حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه- قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: **(ثلاث من أصل الإيمان: الكف عمن قال لا إله إلا الله، ولا نكفره بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماضٍ منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار)**(٣).

٤- وقد ورد عن النبي- صلى الله عليه وسلم- التحذير من التكذيب بالقدر، وذلك في الحديث الذي رواه أبو الدرداء- رضي الله عنه،- عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: **(لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا مكذب بقدر)**(٤).

---

(١) رواه البخاري: فتح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان، رقم الحديث ٥٠، ١/ ١١٤.

(٢) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره، رقم الحديث ٢٢٣٣، ٣٠٧/٣؛ ورواه ابن ماجه، سنن بن ماجه، مع اختلاف يسير، ٣٢/١، رقم الحديث ٨١، قال المباركفوري في تحفة الأحوذي: "وحديث علي هذا رجاله رجال الصحيح " تحفة الأحوذي، ٢٠١/٣.

(٣) رواه أبو داود، سنن أبو داود، باب الغزو مع أئمة الجور، رقم الحديث ٢٥٣٢، ١٨/٣ ، وهو في ضعيف الجامع الصغير، رقم ٢٥٣٢،٣٧٣.

(٤) رواه الإمام أحمد، المسند، ٤٤١/٦؛ وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم ٦٧٥، ٢٩٠/٢.

ثالثاً: مراتب القضاء والقدر

يقوم الإيمان بالقضاء والقدر على أربع مراتب، من آمن بها جميعاً فإن إيمانه بالقدر يكون متكاملاً، ومن انتقص واحدة من هذه المراتب أو أكثر فقد اختل إيمانه بالقدر، حيث أجمع علماء السلف قاطبة[1] على هذه المراتب الأربعة واستدلوا عليها من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهذه المراتب الأربع هي:

١- مرتبة العلم

"يجب الإيمان بعلم الله - عز وجل - المحيط بكل شيء، وأنه علم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم، وحركاتهم وسكناتهم وأعمالهم، ومن منهم من أهل الجنة، ومن منهم من أهل النار، وأنه يعلم كل شيء بعلمه القديم المتصف به أزلاً وأبداً "(٢).

قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام:٥٩)، ومفاتح الغيب فسرها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأنها خمس لا يعلمها إلا الله، فعن ابن عمر _ *رضي الله عنهما* _ ، عن النبي _ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم _قال: **(مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلاَّ اللَّه: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلاَّ اللَّه، ولا يعلم**

---

(١) ذهب ابن تيمية إلى أن الإيمان بالقدر على درجتين، وأن كل منهما يتضمن شيئين هما مراتب القدر الأربع وهي: مرتبة العلم، ومرتبة الكتابة، ومرتبة الإرادة والمشيئة، ومرتبة الخلق، وهذا ما قال به ابن القيم في شفاء العليل؛ وسار على نهجهم من جاء بعدهم من العلماء قاطبة في القول في هذه المراتب. لمزيد من التفصيل انظر: محمد خليل هراس، شرح العقيدة الوسطية، ص١٤٠وما بعدها ؛ عبد العزيز المحمد السلمان، الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الوسطية، ص: ٢٣٠-٢٣١؛ ابن القيم، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٢) عبد الرحمن المحمود، مرجع سابق، ص: ٤٢.

ما في غدٍ إلاَّ اللَّه، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلاَّ اللَّه، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلاَّ اللَّه، ولا يعلم متى الساعة إلاَّ اللَّه)(١). وهي المذكورة في قوله- تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان: ٣٤)، والآية دلَّت على أن الله -سبحانه وتعالى- محيط علمه بجميع الموجودات ببرها وبحرها، وما تسقط من ورقة إلا ويعلمها، فهو يعلم حركة الجمادات، ومن باب أولى غيرها من الحيوانات، وبني الإنسان المكلفين(٢) .

قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق:١٢)، فلا يخرج عن علمه شيء منها كائناً ما كان، فإحاطته سبحانه بكل شيء علماً يدل على ثبوت صفة العلم لله المتصف به أزلاً، والشامل لكل شيء(٣).

فعن عمران بن حصين – رضي الله عنه- قال : **(قال رجل: يا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أعُلِمَ أهل الجنة من أهل النار؟ ، قال: نعم، قال: ففيم يعمل العاملون؟، قال: كل ميسر لما خلق له)** (٤)، فالرسول – صلى الله عليه وسلم- أخبر الرجل بأن الله قد علم أهل الجنة من أهل النار، وهذا يدل على علم الله المحيط بكل شيء، والشامل لكل شيء، "وفي الحديث إشارة إلى أن المآل محجوب عن المكلف فعلية أن يجتهد في عمل ما

---

(١) رواه البخاري، فتح الباري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: "عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا..." ، رقم الحديث ٧٣٧٩، ٣٦١/١٣.

(٢) ابن كثير ، مرجع سابق ، ٢٦٠/٣ .

(٣) محمد صديق خان ، مرجع سابق ، ٤٧٤/٩.

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، رقم الحديث ٢٦٤٩، ٢٠٤١/٤؛ ورواه البخاري، فتح الباري، بلفظ: أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ كتاب القدر: باب جف القلم على علم الله، رقم الحديث ٦٥٩٦، ٤٩١/١١.

أمر به، فإن عمله أمارة إلى ما يؤول إليه أمره غالباً، وإن كان بعضهم قد يختم له بغير ذلك. ولكن لا إطلاع له على ذلك، فعليه أن يبذل جهده ويجاهد نفسه في عمل الطاعة ولا يترك وكولاً إلى ما يؤول إليه أمره فيلام على ترك المأمور ويستحق العقوبة"[1].

وعن علي- رضي الله عنه- قال: كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ذات يوم جالساً، وفي يده عود ينكت به"[2]، فرفع رأسه فقال: **(ما منكم من نفس إلا وقد عُلِمَ منزلها من الجنة والنار، قالوا: يا رسول الله فلم العمل؟ أفلا نتكل؟ قال: لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له)**، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ إلى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[3] (الليل : ٥-١٠). والشاهد قوله: ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار، فالله علم أهل الجنة وأهل النار بعلمه القديم، فالحديث يدل على ثبوت العلم الكامل لله .

٢- *مرتبة الكتابة*

وهي أن الله تعالى كتب مقادير المخلوقات والمقصود بهذه الكتابة الكتابة باللوح المحفوظ وهو الكتاب الذي لم يفرط فيه الله من شيء، فكل ما جرى ويجري فهو مكتوب عند الله.

---

(١) ابن حجر، الفتح، ٤٩٣/١١.

(٢) ينكت به: أي يخط به خطاً يسيراً مرة بعد مرة، صحيح مسلم، ٢٠٣٩/٤.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، رقم الحديث ٢٦٤٧ مكرر، ٢٠٤٠/٤.

قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨)، على أحد الوجهين

الوجه الأول: أن المقصود بالكتاب هنا اللوح المحفوظ، فالله أثبت فيه جميع الحوادث(١)، فكل ما يجري مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ.

والوجه الثاني: أن المقصود بالكتاب القرآن(٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحج: ٧٠)، وهذه الآية من أوضح الأدلة على علمه المحيط بكل شيء وأنه علم الكائنات كلها قبل وجودها، وكتب الله ذلك في كتابه اللوح المحفوظ(٣) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : (**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال: وكان عرشه على الماء**)(٤)، فالدليل من الحديث قوله: (كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماء والأرض)، فالمراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره، لا أصل التقدير، فإن ذلك أزلي لا أول له، وقوله: (وعرشه على الماء) أي: قبل خلق السماوات والأرض(٥).

---

(١) محمد صديق خان، مرجع سابق، ١٥٧/٣؛ ابن كثير، مرجع سابق، ١٤٣/٣.

(٢) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ص:١٠١.

(٣) ابن كثير، مرجع سابق ، ٥/ ٤٤٨.

(٤) رواه مسلم: صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم موسى، رقم الحديث ٢٦٥٣، ٢٠٤٤/٤.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٠٣/١٦.

٣- مرتبة الإرادة والمشيئة

وهذا الركن يقضي بالإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة في هذا الكون، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا حركة ولا سكون في السماوات ولا في الأرض إلا بمشيئته، فلا يخرج عن إرادته شيء ولا يكون في ملكه إلا ما يريد.

وقد وردت أدلة كثيرة جداً تبين هذا الركن وتوضحه من الكتاب والسنة منها:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (المائدة: ٤٨) ، أي: لجعلكم على شريعة واحدة، وكتاب واحد، ورسول واحد، لكن لم يشأ الله ذلك بل شاء الابتلاء والاختبار، فكنتم على الحالة التي أنتم عليها(١)، فمشيئة الله مطلقة، والنافذ هو ما يشاؤه.

وورد في القرآن الكريم عند الحديث عن بعض الأنبياء تعليقهم كل أمر بمشيئة الله -سبحانه وتعالى - فمثلاً نوح - عليه الصلاة والسلام - لما قال له قومه: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قال: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (هود: ٣٢-٣٣).

وقول موسى - عليه الصلاة والسلام - للخضر: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (الكهف: ٦٩) ، والله -سبحانه وتعالى- وجه نبيه قائلاً: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (الكهف: ٢٣-٢٤) .

---

(١) محمد صديق خان، مرجع سابق، ٤٤/٣.

فهذه الآيات تدل وبشكل قاطع على استقرار عقيدة المسلمين ويقينهم بهذا الركن المهم من أركان القدر.

فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ الله تعالى إياه لم يكن لعدم مشيئة الله تعالى لا لعدم قدرته عليه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (البقرة: ٢٥٣)، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (المائدة: ٤٨)، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى...﴾ (الأنعام: ٣٥).

والآيات في هذا الركن كثيرة تدل على عدم وجود ما لم يشأ الله وجوده لعدم مشيئته ذلك، لا لعدم قدرته عليه، فإنه على كل شيء قدير.

وكذلك وردت أحاديث كثيرة، أوردها الإمام ابن القيم[1] في كتابه (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) تثبت هذا الركن منها :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أنه سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: (**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن**

---

(١) ابن قيم الجوزية: (ت٧٥١ هـ، ١٣٥٠م) محمد بن ابي بكر بن أيوب بن سعد الزّرعي الدمشقي، أبو عبدالله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، واحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيميه حتى كان لا يخرج على شيء من أقواله، به ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعزل بسببه، وطيف به على جمل مضروباً بالعصي. وأطلق بعد موت ابن تيميه. وكان حسن الخلق محبوباً عند النساس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عدداً عظيماً، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً. وألف تصانيف كثيرة منها: أعلام الموقعين، الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية، مفتاح دار السعادة، زاد المعاد... (الزركلي، مرجع سابق، ٦/٢٨٠).

كقلب واحد يصرفه حيث يشاء) ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : **(اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)**(١).

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه– أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: **(لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت، ارزقني إن شئت، وليعزم مسألته، إنه يفعل ما يشاء لا مكره له)**(٢)، ففيه إثبات المشيئة لله تعالى فهو الغفور الرحيم، والرزاق إذا شاء، وهو –سبحانه– يفعل ما يشاء لا مكره له والحديث فيه الحث على العزم في المسألة والجزم فيها دون ضعف أو تعليق على المشيئة، وإنما نهى عن التعليق على المشيئة لأنه لا يتحقق استعمال المشيئة إلا في حق من يتوجب عليه الإكراه، والله –سبحانه وتعالى– لا مكره له، كما نص عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم – في الحديث(٣).

٤–مرتبة الخلق

قررت النصوص أن الله خالق كل شيء، فهو الذي خلق الخلق، وكونهم وأوجدهم، ومن ذلك أفعال العباد، فلا يقع في هذا الكون شيء إلا وهو خالقه –سبحانه وتعالى–، فهو الخالق وما سواه مربوب مخلوق.

---

(١) رواه مسلم صحيح مسلم، كتاب القدر، باب تصريف الله سبحانه القلوب كيف يشاء، رقم الحديث ٢٦٥٤، ٢٠٤٥/٤.

(٢) رواه البخاري، فتح الباري، باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له، رقم الحديث ٦٣٣٩، ١٣٩/١١؛ وأيضاً: كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة، رقم الحديث ٧٤٧٧، ٤٤٨/١٣؛ ورواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب العزم في الدعاء، ولا يقل إن شئت، رقم الحديث (٢٦٧٨-٢٦٧٨- ٢٣٧٩)، ٢٠٦٣/٤.

(٣) فتح الباري، ١٤٠/١١؛ شرح النووي على مسلم، ٦/١٧-٧.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الزمر: ٦٢)، وقال: ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (يس: ٨١)، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (غافر: ٦٢).

فأفعال العباد داخلة في عموم خلقه -سبحانه وتعالى- لا يخرجها شيء من عمومها، وخلاصة القول في هذه المسألة: أن أفعال العباد كلّها من الطاعات والمعاصي داخلة في خلق الله، وفي قضاءه وقدره؛ فقد علم الله ما سيخلقه في عباده، وعلم ما هم فاعلون، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وخلقهم الله كما شاء ومضى فيهم قدره فعملوا على النحو الذي شاءه فيهم، وهى الله من كتب لهم السعادة، وأضل من كتب عليهم الشقاوة، وعلم أهل الجنة وبسرهم لعمل أهلها، وعلم أهل النار وبسرهم لعمل أهلها.

فأفعال العباد هي من الله خلقاً وإيجاداً وتقديراً، وهي من العباد فعلاً وكسباً، فالله هو الخالق لأفعالهم، وهم الفاعلون لها، فنؤمن بجميع نصوص الكتاب والسنة الدالة على شمول خلق الله، وقدرته على كل شيء من الأعمال والأوصاف، كما نؤمن بنصوص الكتاب والسنة الدالة على أن العباد هم الفاعلون حقيقةً للخير والشر، وعلى هذا اتفق أهل السنة والجماعة[1].

---

(1) أنظر: محمد الحمد، مرجع سابق، ص٦٥.

المبحث الثالث

مذهب أهل السنة في القضاء والقدر

المطلب الأول

القول بالقدر في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – والصحابة الكرام – رضي الله عنهم

أولاً : القول بالقدر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

كان لنزول القرآن الكريم ووجود رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين أظهر الصحابة الكرام ، الدور الكبير في إرساء دعائم الإسلام العظيم، وإرساء العقيدة وصفائها، والتسليم لله وللرسول – صلى الله عليه وسلم – في كل أمر من الأمور التشريعية والتعبدية.

وهذا لا يعني عدم وقوع بعض الأسئلة التي يأتي جوابها حاسماً من الرسول – صلى الله عليه وسلم – أو المخاصمة حول القدر والتي ينهيها أيضاً رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أو المخاصمة من جانب المشركين فقط .

وإذا ما استعرضنا هذه الفترة سنقف هنا على بعض هذه الحوادث والأمور على سبيل المثال لا الحصر:

١- ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه –قال: خرج علينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ونحن نتنازع في القدر، فغضب واحمر وجهه حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان فقال: (**أبهذا أُمرتم أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا**

في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه)(١)، وفي رواية أخرى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب فقال: **(أبهذا أمرتم أو لهذا خلقتم، تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم)** قال: فقال عبد الله بن عمرو: "ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما غبطت نفسي في ذلك المجلس وتخلفي عنه"(٢).

فنلاحظ أن التنازع والمخاصمة وجدت بين الصحابة حول القدر ولكن لما نهاهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كفوا ورجعوا عما نهاهم فيه بل وندموا حتى يصل الأمر إلى أن أحد الصحابة – عبد الله بن عمرو – لم يغبط نفسه بمجلس تخلف فيه عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا ذاك.

٢- ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه –**(قال: جاء مشركوا قريش إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يخاصمون في القدر، فنزلت الآية:** ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٨-٤٩).)(٣)، فالمخاصمة هنا جاءت من قبل المشركين، فنزلت الآية مهددة لهم بالنار ، ورادة عليهم في دعواهم.

---

(١) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر، ٤٤٣/٤، وقال عنه حديث حسن صحيح.

(٢) رواه ابن ماجه، سنن ابن ماجه في المقدمة، باب في القدر، ٣٣/١ ؛ ورُواه الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد، ١٧٨/٢؛ وقال عنه الألباني في مشكاة المصابيح: وسنده حسن، رقم ٩٩، ٣٦/١:

(٣) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب القدر، رقم الحديث ٢١٥٧، ٤٥٩/٤، وقال عنه الترمذي: هذا حديث صحيح".

٣- وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - تذم القدرية وتصفهم بأنهم مجوس هذه الأمة ومن هذه الأحاديث:

أ- ما رواه حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم - **(لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر، من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوهم، وهم شيعة الدجال ، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال)**(١).

ب- وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - **(صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب المرجئة**(٢) **والقدرية**(٣))(٤).

جـ- وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: **(لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم)**(٥).

---

(١) رواه أبو داود سنن أبو داود، كتاب السنة، باب في القدر، رقم الحديث ٤٦٩٢، ٤/٢٢٢؛ ذكر المناوي بأن العلائي تعقبه وأن له شواهد ينتهي مجموعها إلى درجة الحسن، وهو وإن كان مرسلاً لكنه اعتضد فلا يحكم عليه بوضع ولا نكارة؛ انظر: المناوي، مرجع سابق، ٥/٢٨٣.

(٢) الإرجاء في اللغة على معنيين: أحدهما بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: (قالوا أرجه وأخاه) الأعراف: ١١١، أي أمهله وأخره. والثاني إعطاء الرجاء. أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح. لأنهم كانوا يؤخرون العمل على النية والعقد. وأما بالمعنى الثاني فظاهر، فإنهم كانوا يقولون: لا تعز مع الإيمان معصيه، كما لا تنفع مع الكفر طاعة.وقيل الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة. فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا، من كونه من أهل الجنة، أو من أهل النار.(الشهرستاني، مرجع سابقن ص١٣٩).

(٣) القدرية: هم المنكرون للقدر القائلون بأن أفعال العباد مخلوقة بقدهم ودواعيهم، لا يتعلق بها - بخصوصها- قدرة الله. (المناوي، مرجع سابقن ، ٤/٢٠٧).

(٤) رواه الترمذي ، سنن الترمذي، كتاب القدر، باب ما جاء في القدرية ، رقم الحديث ٢١٤٩ ، ٤/٤٥٤ ، وقال عنه الترمذي : وهذا حديث غريب حسن صحيح.

(٥) رواه أبو داود، سنن أبو داود، كتاب السنة، باب في القدر، رقم الحديث: ٤٧١٠، ٤/٢٢٨؛ وقد رمز له السيوطي بعلامة الصحة، وتعقبه المناوي بأن الذهبي قال: " إن أحد رجاله لا يعرف"، انظر: المناوي، مرجع سابق، ٦/٣٨٩.

فهذه الأحاديث تدل دلالة صريحة على أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قد حذر هذه الأمة من القدرية، ووصفهم بأنهم مجوس هذه الأمة.

لذلك لا يكاد يجد الباحث في مسألة القضاء والقدر أي خلاف أو نزاع فيه بين الصحابة –رضي الله عنهم– في عهد النبي –صلى الله عليه وسلم–.

ثانيا: القول بالقدر في عهد الصحابة الكرام

بعد وفاة النبي –صلى الله عليه وسلم– كانت أمور العقيدة في عهد الصحابة – رضي الله عنهم –، ما كان عليه الأمر في عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم– فقد كان الإيمان بعقيدة القضاء والقدر على الوجه الحق الذي بينه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولم يرد إلينا أن واحدا من المسلمين نازع في القدر في عهد الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان، وكل ما ورد إلينا أن أبا عبيده عامر بن الجراح – رضي الله عنه – اعترض على رجوع عمر بالناس عن دخول الشام عندما انتشر بها الطاعون وقال لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه –(١) :

(يا أمير المؤمنين أفرارا من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيده، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله أرأيت إن كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان، إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصب رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله) .

وتكاد مصادر أهل السنة تجمع على أن أول من تكلم بالقدر رجل من أهل البصرة كان يعمل بقالا يقال له: (سنسويه) وبعضهم يسميه: (سيسويه) وبعضهم يسميه (سوسن)، قال الأوزاعي: "أول من نطق في القدر رجل من العراق يقال له سوسن كان نصرانيا فأسلم، ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهمي، وأخذ غيلان عن معبد"(٢).

---

(١) رواه البخاري، فتح الباري، باب ما يذكر في الطاعون، رقم الحديث ٥٧٢٩، ١٠/١٧٩.

(٢) الإلكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ٣/٧٥٠.

بلغ علم الكلام أشده في عهد الخليفة العباسي المأمون[1] والذي وعد كل من يترجم كتابا من كتب الفلسفة بمكافأة قيمتها وزن ذلك الكتاب ذهبا.

يقول الشهرستاني: "ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حيث نشرت أيام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام، وأفردتها فنا من فنون العلم، وسمتها باسم الكلام، إما لأن أظهر مسألة تكلموا فيها وتقاتلوا عليها هي مسألة الكلام فسمى النوع باسمها، وإما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فنا من فنون علمهم بالمنطق، والمنطق والكلام مترادفان"(٢).

ومن ثم انبرى علماء الأمة من السلف الصالح للوقوف في وجه المبتدعة من أجل الدفاع عن المذهب الحق، الذي خطه كتاب الله وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسار عليه الصحابة الكرام – رضي الله عنهم –، ملاقين في ذلك شتى المصاعب والعقبات، والتي وصلت بهم في بعض الأحيان إلى السجن والتعذيب والإبعاد والقتل، غير آبهين في ذلك سوى نيل رضى الله.

---

(١) المأمون العباسي (١٧٠-٢١٨هـ): عبدالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور أبو العباس سابع الخلفاء من بني العباس في العراق وأحد أعاظم الملوك في سيرته وعلمه وسعة ملكة نفذ أمره من افريقية إلى أقصى خراسان وما وراء النهر والسند، وعرفه المؤرخ ابن دحيه بالإمام "العالم المحدث النحوي اللغوي ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة ١٩٨هـ، فتمم ما بدأ به جده المنصور من ترجمة كتب العلم والفلسفة واتحف ملوك الروم بالهدايا سائلا ان يصلوه ما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا إليه بعدد كبير من كتب افلاطون وارسطاطاليس ... فاختار لها مهرة التراجم فترجموها وحض الناس على قراءتها فقامت دولة الحكمة في ايامه وقرب العلماء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين وأهل اللغة والأخبار والمعرفة بالشعر والأنسان وأطلق حرية الكلام للباحثين وأهل الجدل والفلاسفة. توفي بزندون ودفن في طرطوس. (الزركلي، مرجع سابق، ٢٨٧/٤).

(٢) الشهرستاني، الملل والنحل، ص: ٣٠.

المطلب الثاني

أقوال بعض علماء المسلمين من أهل السنة

لقد تكفل الله – سبحانه وتعالى – بحفظ دينه ، فقيض لدعوته رجالا يقومون بالدفاع عنها، ويقفون في وجه أهل الكفر والدعوات التي تهدف للنيل من أمر هذا الدين العظيم ، فكما سار الصحابة – رضوان الله عليهم – على نهج نبيهم – صلى الله عليه وسلم – وسلكوا الطريق الذي خطه لهم، ونهلوا من سنته التي هي منبع كل خير، وأساس كل هدى، كذلك سلك التابعون آثار الصحابة – رضوان الله عليهم – وسار على آثارهم التابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين من علماء المسلمين، فاقتفوا طريقهم، واهتدوا بهداهم، ودعوا إلى ما دعوا إليه، ومضوا على ما كانوا عليه، ويقف على رأس هؤلاء العلماء، الأئمة الأربعة، احمد ومالك وأبي حنيفة والشافعي –رضي الله عنهم – وغيرهم من العلماء الأجلاء.

يقول أبو الحسن الندوي: " وقام في كل عهد وفي كل ناحية من نواحي العالم الإسلامي، رجال فضحوا المنحرفين والمتآمرين، ورفعوا اللثام عن وجه الإسلام، ونفضوا عنه غبار الجهل والضلالات، وأنكروا على البدع والخرافات والأفكار العجمية، ودافعوا عن السنة دفاعا قويا، وردوا على العقائد الباطلة ، وشنوا الحرب على الجاهلية وأعمالها وتقاليدها...

وحدوا من سلطان العقل الذي طغى وتخطى الحدود، ونفخوا في الإسلام روحا جديدة وخلقوا في المسلمين إيمانا جديدا وثقة جديدة، وقد كان هؤلاء الأفراد نوابغ عصورهم، عقلية وعلما وخلقا"[1].

---

(١) أبو الحسن علي الحسني الندوي، رجال الفكر والدعوة، ١ /١٧-١٨.

وسيتناول هذا المطلب بعض أقوال علماء المسلمين من أهل السنة، والذين كان لهم دور كبير في الدفاع عن الإسلام والوقوف في وجه أهل البدع والأهواء من أصحاب الفرق الإسلامية على اختلاف معتقداتها وتصوّراتها، وبخاصة في مسألة (القضاء والقدر) ومن هؤلاء العلماء الإجلاء:

أولاً : الإمام أبو الحسن الأشعري[1] (٢٦٠ – ٣٢٤ هـ):

يقول الإمام أبو الحسن عند بيان عقيدته في القدر: "وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره، وأنّا نؤمن بقضاء الله وقدره، خيره وشرّه، حلوه ومرّه، ونعلم أن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، وأن ما أصابنا لم يكن ليخطأنا، وأن العباد لا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً إلا ما شاء الله، كما قال – عزّ وجلّ – : ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ (الأعراف:١٨٨)، وأن نلجأ في أمورنا إلى الله، ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت إليه"[2].

ثانياً: القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين البغدادي[3] (٣٨٠ – ٤٥٨ هـ):

أثبت القاضي أبو يعلى البغدادي – رحمه الله – القدر موافقاً في ذلك السلف، وأن الله على كل شيءٍ قدير، وأن كل ما في الوجود واقع بمشيئته وإرادته وأنه خالق كلّ شيء.

---

(١) سبق ترجمته: ص٢٠.

(٢) أبو الحسن الأشعري، الإبانة على أصول الديانة، ص ٥٦.

(٣) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء، أبو يعلى: عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون. من أهل بغداد. ارتفعت مكانته عند العباسيين، وولاه القائم قضاء دار الخلافة. وكان قد امتنع، واشترط أن لا يحضر أيام المواكب، ولا يخرج في الاستقبالات ولا يقصد دار السلطان، فقبل القائم شرطه. له تصانيف كثيرة منها: الإيمان، والأحكام السلطانية، والكفاية في أصول الفقه، وأحكام القرآن ...، وكان شيخ الحنابلة (الزركلي، مرجع سابق، ٣٣١/٦).

فالله قادر على كل شيء، لا يخرج عن قدرته شيء من الأشياء، وأن كل ما يقع من طاعة ومعصية، فبإرادته ومشيئته، فهو الذي أراد الإيمان من المؤمن وأحبه ورضيه منه وكتبه عليه وقدره له وخلقه فيه، وهو الذي أراد الكفر من الكافر ولم يحبه ولم يرضه منه مع أنه كتبه عليه وقدره له وخلقه فيه . وأنه – جل وعلا – يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فمن اهتدى فبفضله وهو الذي هداه، ومن ضل فبعدله وهو الذي أضله، وأنه الذي طبع على قلوب الكافرين وختم على سمعهم وجعل على بصرهم غشاوة، وأنه – جل وعلا – لو شاء لهدى الناس جميعا . وأنه – جل وعلا – خالق أفعال العباد في الطاعة والمعصية، وأن العباد هم الفاعلون لأعمالهم حقيقة ومؤاخذون عليها.

هذه إجمالا عقيدة القاضي – رحمه الله – في القدر كما وردت في مواضع متفرقة من كتابه "المعتمد في أصول الدين"[1].

ثالثا: شيخ الإسلام ابن تيمية[2]، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (٦٦١-٧٢٨هـ):

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله – عند كلامه عن القضاء والقدر " أن يعلم الإنسان أن مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة، وما كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، الذين تبعوهم بإحسان : وهو أن الله

---

(١) سعود بن عبد العزيز الخلف، القاضي أبو يعلى وكتابه "مسائل الإيمان دراسة وتحقيقا"، ص٩٨-١٠٠.

(٢) ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨هـ): أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي أبو العباس تقي الدين ابن تيمية: الإمام شيخ الإسلام ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها فقصرها فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة ونقل إلى الاسكندرية ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢هـ واعتقل بها سنة ٧٢٠هـ وأطلق ثم أعيد ومات معتقلا بقلعة دمشق فخرجت دمشق كلها في جنازته كان كثير البحث في فنون الحكمة داعية اصطلاح في الدين آية في التفسير والأصول فصيح اللسان قلمه ولسانه متقاربان وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم العلم والتفسير وافتى ودرس وهو دون العشرين اما تصانيفه ففي الدرر انها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي وفيات الأعيان أنها تبلغ ثلاث مئة

خالق كل شيء وربّه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها، من أفعال العباد وغير العباد.

وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في الوجود شيء إلاّ بمشيئته وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه بل هو قادر على كل شيء ، ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادرٌ عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها، وقد قدّر الله الخلائق قبل أن يخلقهم.

قدّر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون"[1].

من خلال ما سبق يتبين أنَّ مذهب أهل السنَّة والجماعة، هو اتِّباع ما جاء في كتاب اللَّه وسنَّة رسول اللَّه _ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم _ ، وما سار عليه الصحابة الكرام _ رضي اللَّه عنهم- ، يقول الإمام أبي العز الحنفي: "وهذه كانت طريقة السابقين الأولين، وهي طريقة التابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة. وأولهم السلف القديم من التابعين الأولين، ثمَّ من بعدهم. ومن هؤلاء أئمة الدين المشهود لهم عند الأمة الوسط _خيار الناس وعدولهم_ بالإمامة" [2].

---

(١) ابن تيميّة، مجموع الفتاوي، ٨/٤٤٩-٤٥٠.

(٢) أبو العز الحنفي، مرجع سابق، ص: ٧٥ .

الفصل الثاني

الآثار التربوية للإيمان

بالقضاء والقدر

الفصل الثاني

الآثار التربوية للإيمان بالقضاء والقدر

المبحث الأول: الآثار التربوية السلبية المترتبة على الفهم الخطأ للقضاء والقدر

المبحث الثاني: الآثار التربوية الإيجابية للإيمان بالقضاء والقدر

الفصل الثاني

الآثار التربوية للإيمان بالقضاء والقدر

إن الإيمان بالقضاء والقدر إذا كان مبنياً على فهم صحيح واعتقاد سليم كما فهمه الصحابة والتابعون ومن سار على نهجهم من علماء الإسلام، فإنه يترك آثاراً عظيمة وثماراً جليلة على الفرد والمجتمع.

وإن كان بخلاف ذلك فإن الإنسان غالباً سيكون عرضةً للتخبط في التصور والسلوك وينعكس ذلك سلباً على عقله ونفسه وسلوكه.

وبناءً عليه جاء هذا الفصل مشتملاً على مبحثين اثنين:

تناول المبحث الأول أهم الآثار التربوية السلبية المترتبة على الفهم الخطأ لعقيدة القضاء والقدر.

وتناول المبحث الثاني أهم الآثار التربوية الإيجابية المرتبة على الفهم الصحيح لعقيدة القضاء والقدر.

المبحث الأول

الآثار التربوية السلبية المترتبة على الفهم الخطأ للقضاء والقدر

لقد خلق الله الإنسان ومنحه القدر العقلية التي يستطيع بواسطتها التفكر والتدبر في ملكوت السماوات والأرض وما بث فيها من آيات ومخلوقات ليُستدل بها على وجود خالق ومدبر لهذا الكون.

ومن ثم أرسل الأنبياء والرسل -عليهم السلام- مبشرين ومنذرين يعلمون الناس أصول الاعتقاد وما يتعلق به من مسائل تتصل بالعقيدة وأركانها، ومن ضمنها الإيمان بالقضاء والقدر.

إلا أن هناك فئةً من الناس أعطت العقل مكانةً عظيمةً، فجعلته حاكماً على ما جاء به الوحي من أمور تتعلق بقضايا الغيب، مما أنعكس سلباً على تصورات الناس وسلوكياتهم.

ومن هنا سيتناول المبحث أهم الأسباب التي أدت إلى الاختلاف بين المسلمين في مسائل العقيدة، ومن ثم عرض أهم الموضوعات التي نشأت وتبلورت من وراء الاختلاف في القضاء والقدر، وأخيراً بيان أهم الآثار التربوية التي نشأت في المجتمع المسلم، وما خلّفته من أثر ترتب على هذا الفهم الخطأ لعقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.

المطلب الأول

أهم أسباب الخلاف في أمور العقيدة

بعد بيان أن الخلاف بين الناس يرجع في أصله إلى اختلاف المدارك والقدرات العقلية، وفي كون هذه القدرات العقلية عاجزة عن فهم الأمور الغيبية، التي تقوم عليها أمور العقيدة، وبيان الدور الذي قام به الرسل - عليهم الصلاة والسلام - في هذا الجانب، فإن هناك أسباباً أدت إلى نشوء بعض الفرق الإسلامية، التي تبنت معتقدات وأفكاراً خالفت بها التصور الصحيح الذي أرساه الوحي.

ويمكن إرجاع الخلاف بين الناس في مختلف أمورهم إلى سببين:

الأول: الاختلاف الناجم عن اتباع الهوى، وهذا النوع من الخلاف مذموم.

الثاني: الاختلاف القائم على الاجتهاد والاختلاف في المدارك والأفهام، وهذا الخلاف غير مذموم إذا كان خاضعاً لضوابط وقواعد صحيحة ولا تتعارض مع الشرع.

وهو السبب الذي ترجع إليه أمور الخلاف التي وقعت في عهد الصحابة - رضي الله عنهم -، سواء أكان ذلك في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو بعد وفاته. فأما الأمور الخلافية التي وقعت في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - فكانت تجد الجواب الشافي سواء أكان ذلك من خلال نزول الوحي أو أوامره ونواهيه - صلى الله عليه وسلم - ، أما التي وقعت في عهد الصحابة - رضي الله عنهم - من بعده، فكانت تجد الجواب والحل من قبل كبار الصحابة - رضي الله عنهم -، أما الخلاف الذي وقع بين المسلمين في فروع الدين كالفقه وما نشأ عنه من قيام المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة وغيرها، فهو من أمور الخلاف المشروعة.

أما مسائل الخلاف التي وقعت في أمور العقيدة التي لا مجال للاجتهاد فيها، لكونها لا تستمد إلا من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، فيمكن عزوها للأسباب التالية[1]:

أولاً: أسباب داخلية

ويقصد بها الأسباب النابعة من داخل المجتمع المسلم، ولا دخل للمؤثرات الخارجة فيها، ويقف على رأس هذه الأسباب:

١- ظهور الزنادقة والملحدين والمنافقين بين صفوف المسلمين، الذين كان لهم الدور البارز في إثارة الفتن والنعرات داخل المجتمع المسلم، ولا شك أن الدور الذي مارسوه أدى إلى الخلاف الذي وقع بين الصحابة في زمن علي - رضي الله عنه - ونشوء أول بذور الإنشقاق بينهم.

٢- الأسباب السياسية المتعلقة بالخلافة والمُلك، وذلك بعد فتنة مقتل عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، وما سببه ذلك من نشوء بعض الفرق، كالشيعة والخوارج وغيرهم، التي جاءت بمعتقدات محدثة تخالف ما كان عليه سلف الأمة كمسألة خلق القرآن عند المعتزلة، ومسألة عصمة الأنبياء عند الشيعة.

ثانياً: أسباب خارجية

وهي التي نشأت بعد دخول كثير من الناس في الإسلام بعد الفتح، حيث كان من بين من دخل الإسلام كثير من علماء الدين سواء من اليهود والنصارى أو غيرهم من الديانات الأخرى، فلما ركنوا إلى الإسلام ودرسوا أحكامه وتعاليمه، أخذوا يفكرون في

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر: البوطي، العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر، ص١٤-٢٠؛ عبد الرحمن المحمود، مرجع سابق، ص٩١-٩٥؛ الميداني، بصائر للمسلم المعاصر، ص ٧٥ - وما بعدها.

تعاليم دياناتهم، ويقارنون بينها وبين الإسلام، مما أدى إلى تأثرهم بها، ومحاولة نقلـــها إلى الدين الجديد، والعمل على نشرها بين أتباعه، ومن بين تلك المعتقدات أمور العقيدة.

كما كان لإطِّلاع المسلمين على تراث وافكار الأمم السابقة، ومـــا حملتـــه مـــن معتقدات وتصورات لمختلف المسائل تأثير أيضاً على العقيدة الإسلامية، وذلك من خلال التراجم واللقاءات التي كانت تحدث بفعل احتكاك المسلمين بهم، سواء كان ذلـــك عـــن طريق التقاء التجار ببعضهم، أم بفعل اتســـاع نطـــاق الخلافـــة الإســـلامية وتداخلـــها بحضارات مختلفة.

المطلب الثاني

أهم المعتقدات التي نشأت عن الفهم الخطأ للقضاء والقدر

أدى الخلاف الذي حدث بين المسلمين في بعض المسائل المتعلقـــة بأســـماء الله وصفاته، إلى ظهور أفكار ومعتقدات غير سليمة أدت فيما بعـــد إلـــى نشـــوء مســـائل انعكست على عقيدة القضاء والقدر، وإلى قيام فرق وجماعـــات تبنـــت تلـــك الأفكـــار والمعتقدات، وأخذت تدافع عنها مستخدمة شتى الأساليب والطرق من أجل إثبات صحـــة ادعاءاتها، ويقف على رأس هذه المسائل:

أولاً: مسألة علم الله تعالى

ذهب بعض المبتدعة وأهل الضلال في هذه المسألة إلى القول بأن الله - ســـبحانه وتعالى عما يقولون - لا يعلم الأشياء قبل وقوعها، ولم يتقدم علمه بها، وأنه - تعالى - يعلم بالموجودات بعد خلقها وإيجادها.

وقد نشأ القول بهذا الرأي في آخر عهد الصحابة - رضي الله عنهم، حيث ذهب إلى هذا القول معبد الجهني[1]، ثم تبنى هذا المذهب الفاسد رؤوس المعتزلة وأئمتهم كواصل بن عطاء الغزّال[2]، وعمرو بن عبيد[3]، حيث أرادوا من ذلك على حد زعمهم، تنزيه الله وتقديسه عن الظلم، وذلك في كون الله شاء الإيمان من الكافر، ولكن الكافر هو الذي شاء الكفر، إذ كيف يشاء الله الكفر من الكافر ثم يعذبه عليه.

ومرجع هذا كله ناشئ عن جهل هؤلاء بالفرق بين الإرادة والمشيئة، حيث نص الأئمة على كفر هذه الطائفة التي لم تقر بعلم الله السابق، وممن نص على كفرهم الأئمة مالك والشافعي وأحمد"[4].

---

(١) معبد الجهني: هو معبد بن عبد الله بن عويم الجهني البصري، أول من قال بالقدر في البصرة، سمع الحديث من ابن عباس وعمران بن حصين وغيرهما، وحضر يوم التحكيم وانتقل من البصرة إلى المدينة فنشر فيها مذهبه وعنه أخذ غيلان. وخرج مع الأشعث على الحجاج بن يوسف فخرج وأقام بمكة فقتله صبراً بعد أن عذبه، وقيل: صلبه عبد الملك بن مروان بدمشق على القول في القدر ثم قتله. (الزركلي، مرجع سابق، ١٧٧/٨).

(٢) واصل بن عطاء (٨٠-١٣١هـ): واصل بن عطاء الغزّال أبو حذيفة من موالي بني ضبة أو بني مخزوم، رأس المعتزلة ومن أئمة البلغاء والمتكلمين، سمي أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري، ومنهم طائفة تنسب إليه تسمى (الواصلية) في الآفاق، بعث بعض من أصحابه: عبد الله بن الحارث إلى المغرب، وحفص بن سالم إلى خرسان، والقاسم إلى اليمن، وأيوب إلى الجزيرة، والحسن بن ذكوان إلى الكوفة، وعثمان الطويل إلى أرمينية. ولد بالمدينة ونشأ بالبصرة وكان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً، فتجنب الراء في خطابه وضرب به المثل في ذلك. ولم يكن غزّالاً وإنما لقب به لتردده على سوق الغزالين بالبصرة. له تصانيف منها: أصناف المرجئة، المنزلة بين المنزلتين، معاني القرآن ... (انظر ترجمته: الزركلي، مرجع سابق، ١٢١/٩).

(٣) عمرو بن عبيد (٨٠-١٤٤هـ): هو عمرو بن عبيد بن باب التميمي بالولاء أبو عثمان البصري: شيخ المعتزلة في عصره وفقيهها وأحد الزهاد المشهورين. اشتهر بعلمه وزهده. له رسائل وخطب وكتب منها التفسير، والرد على القدرية. توفي بحران (قرب مكة) وشاه المنصور ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه. وفي العلماء من يراه مبتدعاً. قال يحيى بن معين: كان من الدهرية الذين يقولون إنما الناس مثل الزرع. (الزركلي، مرجع سابق، ٢٥٢/٥).

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ٢٨٨/٨.

ثانياً: مسألة الإرادة والمشيئة

ذهب أهل السنة بقولهم: "الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة قدرية كونية خَلْقيّة، وإرادة دينية أمرية شرعية، فالإرادة الشرعية هي المتضمنة المحبة والرضى، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات"(١).

الفرق بين الإرادتين

١- إن الإرادة الكونية لا بد من وقوعها، والإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع.

٢- أن الإرادة الكونية شاملة للخير والشر، والنفع والضر، وكل شيء، والإرادة الشرعية إنما تكون في الخير والنفع فقط.

٣- الإرادة الكونية ليس من لازمها المحبة، وأما الإرادة الشرعية فهي الإرادة اللازمة لمحبة المراد والرضى عنه.

"ومنشأ الضلال: في مسألة الإرادة والمشيئة مرجعة إلى التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبة والرضى، فسوى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا، فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره، فيكون محبوباً مرضياً، وقالت القدرية النفاة: ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له، فليست مقدرة ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه"(٢).

أما مذهب أهل السنة: "فللقضاء وجهان:

أحدهما: تعلقه بالرب تعالى ونسبته إليه، فمن هذا الوجه يرضى به.

والوجه الثاني: تعلقه بالعبد ونسبته إليه، فمن هذا الوجه ينقسم إلى ما يرضى به وإلى ما لا يرضى به. مثال ذلك: قتل النفس، له اعتباران: فمن حيث قدره الله وقضاه

---

(١) ابن أبي الحنفي، مرجع سابق، ص١١٦.

(٢) المرجع السابق، ص٢٧٩.

وكتبه وشاءه وجعله أجلا للمقتول ونهاية لعمره يرضى به، ومن حيث صدر من القاتل وباشره وكسبه وأقدم عليه باختياره وعصى الله بفعله نسخطه ولا نرضى به"[1].

ثالثا: مسألة التسيير والتخيير

"نعني بالتسيير التصرفات والحركات التي تصدر من الإنسان خارج قصده وإرادته، كالتثاؤب، وحركة الارتعاش، والولادة، والموت، والمرض، أو السقوط بغير قصد ... ونعني بالتخيير تلك التصرفات والأعمال التي تأتي ثمرة قصد وإرادة من صاحبها، كقيام أحدنا إلى الصلاة، وخروجه من داره لمباشرة وظيفته أو عمله التجاري... فالإنسان أيا كان، يتعرض لكلا هذين النوعين من التصرفات"[2].

إلا أن منشأ الخلاف يرجع إلى الأفعال الإرادية، "فزعمت الجبرية ورئيسهم الجهم بن صفوان السمرقندي[3]: أن التدبير في أفعال الخلق كلها لله تعالى، وهي كلها اضطرارية، كحركات المرتعش، والعروق النابضة، وحركات الأشجار، وبإضافتها إلى الخلق مجاز وهي على حسب ما يضاف الشيء إلى محله دون ما يضاف إلى محصلها، وقابلتهم المعتزلة فقالوا: إن جميع أفعال العباد اختيارية، أي أن الإنسان هو الذي يخلق أفعاله، وأن الله سبحانه وتعالى لا يخلق من ذلك شيئا"[4].

أما مذهب أهل السنة فذهبوا إلى أن الإنسان مخير في أفعاله التي تقع بإرادته واختياره، أما الأشياء الخارجة عن إرادته فهو مسير في فعلها والقيام بها.

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٨٧.

(٢) محمد سعيد البوطي، الإنسان مسير أم مخير، ص٢٧.

(٣) الجهم بن صفوان: (ت ١٢٨هـ) جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز، من موالي بني راسب، رأس الجهمية. قال الذهبي: الضال المبتدع، هلك زمان صغار التابعين وقد زرع شرا عظيما. وقبض عليه نصر بن يسار وأمر بقتله فقتل. (الزركلي، مرجع سابق، ١٣٨/٢).

(٤) أبو العز الحنفي، مرجع سابق، ص٤٩٣.

فلو كان الإنسان مسيرا بإطلاق لما كان له قدرة ومشيئة، ولـــو كـــان مخـــيرا بإطلاق لفعل كل ما شاءه، فالإنسان قد يريد أمرا، ويعزم على فعله والقيام بـــه، وهـــو قادر على ذلك فيفعله، وقد لا يفعله لوجود ما يعوق عن القيام به.

ومن هنا يتبين خطأ وضلال الجبرية الذين قالوا: إن العبد مجبور علـــى فعلـــه، وأنكروا أن يكون له قدرة ومشيئة وفعل.

وكذلك يتبين خطأ المعتزلة الذين قالوا: بأن العبد مخير على الإطلاق، وأن العبد خالق لفعله، وأنه مستقل بالإرادة والفعل.

رابعا: مسألة ترك العمل اتكالا على الله

اعتقد بعض الناس أن الإيمان بالقدر معناه الإتكال على الله وعدم الأخـــذ بالأســـباب، وزعموا أنه لا حاجة بالعباد إلى العمل والأخذ بالأسباب فما قدر لهم سيأتيهم فـــتركوا العمـــل احتجاجا بالقدر قبل وقوعه، وهذا من الفهم الخطأ للقدر تسبب في ظهور آثار سلبية في حيـــاة الناس وسلوكهم، فقد كان من آثار هذا الاعتقاد أن أصحابها تركوا الأعمال الصالحة الخـــيرة التي توصلهم إلى الجنة وتنجيهم من النار، وارتكبوا كثيرا من الموبقات بدعوى أن القـــدر آت آت، وكل ما قدر للعبد سيصيبه، فقالوا لماذا العمل والتعب والنصب.

لقد ترك هؤلاء الأخذ بالأسباب، فتركوا الصلاة والصيام، كما تركـــوا الدعـــاء والاستعانة بالله والتوكل عليه، لأنه – في نظرهم- لا فائدة منها، فالذي يريده الله ماض قادم لا ينفع معه دعاء ولا عمل.

ورضي كثير من هؤلاء بظلم الظالمين وإفســـاد المفسـدين، وتركـــوا الأمـــر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن كل ما وقع -في نظرهم- مقدر لا بد منه.[1]

---

(١) انظر: عمر الأشقر، مرجع سابق، ص٧٢-٧٣.

المطلب الثالث

أهم ما تركته هذه المفاهيم من آثار سلبية على المجتمع الإسلامي

لا يزال المجتمع الإسلامي يعاني من الآثار السلبية التي ترتبت على الفهم الخطأ للقدر، ولا أعني بالفهم الخطا في هذه الدراسة مجرد تبني إحدى الأقوال المنحرفة في هذا الباب، وإنما أعني به بالإضافة إلى ما سبق كل فهم للقدر لا ترتبط فيه العقيدة بالعمل والسلوك، فقد يكون الإنسان سليم الاعتقاد وحسن المذهب في هذا الباب، إلا أن ذلك لا ينعكس على حياته وتصوراته وسلوكه.

هذا بالإضافة إلى وجود بعض المفكرين المعاصرين، الذين يروجون لبراء منحرفة في هذا الباب، فيلبسون الحق بالباطل حتى لا يدرك الناس ما وراء أفكارهم من تزيين للباطل وترويجه فيما بينهم، فعلى سبيل المثال قام الدكتور عبد الكريم عثمان الذي اهتم بدراسة كتب المعتزلة بتأويل كلامهم وتحريفه بما يتناسب مع معتقد أهل السنة فقال: " وفي رأينا أن قول المعتزلة والقاضي - يقصد عبد الجبار الهمذاني[1] - في الأفعال لا يحد من قدرة الله ومشيئته، ولا يؤدي إلى استقلال العباد في أفعالهم استقلالا تاما عن قدرة الله تعالى. وأما أن هذه النظرية لا تؤدي إلى كون العبد مستقلا في فعله عن الله، فلأنه هو الذي أقدره على فعله، ومكنه منه، مع هيمنته المطلقة على الإنسان والمخلوقات جميعا، فإن شاء منعه، وإن شاء أمكنه الاستمرار عليه، سواء خالف مراد العبد في التصرف أو وافقه"[2].

---

(١) عبد الجبار (ت ٤١٥هـ): عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسدأبادي، أبو الحسن: قاض، أصولي، كان شيخ المعتزلة في عصره. وهم يلقبونه قاض القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على غيره. ولي القضاء بالري، ومات فيها، له تصانيف كثيرة منها: تنزيه القرآن عن المطاعن، الأمالي. (الزركلي، مرجع سابق، ٤٧/٤).

(٢) عبد الكريم عثمان، قاض القضاة عبد الجبار الهمذاني، ص١٩٧.

إلى هذا ذهب الدكتور المذكور وهو كلام غير صحيح، ولو أن المعتزلة قـــالوا بهذا الكلام لكان قريبا جدا من قول أهل السنة، ولما كان هناك أي خلاف بين الفريقين، إلا أن المطالع في كتب المعتزلة كالأصول الخمسة وغيرها، لا يجد ما يسعف الدكتـــور المذكور في رأيه.

وسيتناول هذا المطلب أهم الآثار السلبية بشكل عام، أما الآثار الســـلبية الأكـــثر تفصيلا سيعرض لها الباحث في المبحث الثاني عند تناول الآثار التربوية للفهم الصحيح لعقيدة القضاء والقدر وما يقابلها من آثار تربوية خطأ ناتجة عن سوء الفهم لهذه العقيدة.

أما أهم الآثار السلبية العامة فيمكن إجمالها بما يلي:

١- الاختلاف في مسألة القضاء والقدر أدى إلى ظهور تيارات فكريـــة متصارعـــة كان لها الدور الرئيس في إيجاد الفرقة والنزاع داخل المجتمع المسلم، حتى وصـــل الأمر إلى التعذيب والسجن والتشريد لمجرد التعصب لرأي فرقة دون أخرى.

٢- الاختلاف في مسألة القضاء والقدر أدى إلى هدر كثير من الطاقات والجـــهود، كان من الأولى أن تبذل في وجوه أخرى تهم الإسلام والمسلمين.

٣- الخطأ في حق الله – سبحانه وتعالى- ، فقد كان من لوازم قول المعتزلة في هذا الباب تعطيل صفة الله زاعمين بذلك تنزيه الله، فسقطوا فيما كانون يتحرزون منـــه، يقول الإمام ابن أبي العز الحنفي[١]: "صاروا كالمستجير من الرمضاء بالنار، فإنـــهم هربوا من شيء فوقعوا فيما هو شر منه"[٢].

---

(١) ابن أبي العز الحنفي، مرجع سابق، ص٢٧٧.

(٢) ابن أبي العز (٧٣١-٧٩٢هـ): علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشـــقي: فقيـــه. كـــان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق. له كتب منها التنبيه علـــى مشـــكلات الهدايـــة (الزركلي، مرجع سابق، ١٢٩/٥).

٤-أدت أفكار المبتدعة في القضاء والقدر إلى انتشار مفاهيم وسلوكيات تتعارض مع روح الإسلام، منها ترك العمل والتواكل وتعطيل الطاقات، بل أدت ببعضهم إلى ترك الطاعات والعبادات، زاعمين أن ما أقدموا عليه موافق لقدر الله وإرادته.

٥-كما أدت هذه الأفكار في بعض العصور الإسلامية، إلى الرضى بالذل والهوان والتسليم للأعداء باستباحة دماء وأعراض المسلمين، كما حدث ذلك في عهد الإمام ابن تيمية عندما غزا التتار بلاد الشام بعد احتلالهم للعراق، ولم يكن من العلماء في ذلك الوقت ممن يدعوا للوقوف بوجه هذا الزحف، إلا ابن تيمية - رحمه الله، الذي أفتى بوجوب قتال التتار، على عكس ما أفتى به علماء ذلك الزمان[1].

٦-كما أدت هذه الأفكار إلى فتح الباب على مصراعيه لأعداء الإسلام من المستشرقين للتشكيك والطعن في عقيدة المسلمين ودينهم، وإرجاع أسباب تخلفهم في شتى المجالات، إلى ما يحملونه من معتقدات.

٧-كما أدت هذه المعتقدات إلى عودة الخرافات وانتشار الشعوذة والسحر والكهانة، التي كانت سائدة قبل الإسلام، بسبب الجهل بأمور العقيدة والدين.

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر: ابن تيميه، الفتاوى الكبرى، ٣/٥٣٤؛ ٣/٥٥٧ .

المبحث الثاني

الآثار التربوية الإيجابية للإيمان بالقضاء والقدر

تعد العقيدة التي يؤمن بها الإنسان المنطلق الذي يقوم عليه تصوره وفهمه للعلاقات القائمة بينه وبين كل شيء من حوله، حيث تؤثر على كل أقواله وأفعاله، إلى جانب تأثيرها على فكره وتصوره، حيث تحدد للفكر وجهته، وترسم له الوسائل التي توصله إلى أهدافه، وتدفعه إلى الإقدام على فعل كل ما يتلاءم معها.

وإن أعظم خلاف حصل على مدار التاريخ هو الاختلاف حول قضايا الاعتقاد، ولذلك كان أعظم مهمات الرسل -عليهم السلام- تصحيح عقائد البشر الزائفة، وتصحيح تصوراتهم عن الله والكون والحياة.

فالعقيدة التي جاء بها الرسل -عليهم السلام- ضرورية للبشر ضرورة الماء للهواء، لأنها تحرر العقل من الخرافة، وتفسر للإنسان لغز الحياة، وتدله على مصدر وجوده ومصدر وجود الكون، كما تعرفه بالعلاقة بينه وبين الله، وبينه وبين الكون، وتحدثه عن العوالم الأخرى التي هي من عالم الغيب، وتبصره بمصيره بعد الحياة، والإنسان إذا لم يجد الإجابة الشافية على هذه القضايا فإنه يبقى متعبا قلقا حائرا، والذي ينظر في حال الفلاسفة والمفكرين الذين لم يهتدوا بهدي الله سيشعر بمدى التعب النفسي، والإرهاق الفكري الذي عانى منه هؤلاء الرجال. (١)

وبما أن الإيمان بالقضاء والقدر جزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية، فإن دوره سيكون كبيرا في بلورة وصقل سلوك الفرد المسلم في شتى مجالات الحياة المختلفة.

وفي هذا المبحث سيتم -بإذن الله- تناول أهم ما تركته عقيدة القضاء والقدر من آثار تربوية على الفرد والمجتمع المسلم.

---

(١) عمر الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ص ٨٣-٨٥.

المطلب الأول

الآثار التربوية للقضاء والقدر في الجانب الروحي

لقد اهتمت التربية في الإسلام اهتماماً كبيراً ببناء الإنسان بناءً سوياً متكاملاً، وإن أولى ما اهتمت به في هذا المجال هو بناء الجانب الروحي في شخصية المسلم، ذلك الجانب الذي يُعنى بتنظيم العلاقة بين العبد وربه، ويضمن لها دوام الصلة والإستمرار.

حيث اهتمت التربية الإسلامية بالتربية الروحية القائمة على القيم والمبادئ والمثل المستمدة من الإيمان الصحيح بالله -عز وجل- وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر خيره وشره.

وسيتناول هذا المطلب أهم الآثار التربوية للقضاء والقدر على هذا الجانب من خلال:

أولاً: طريق الخلاص من الشرك

الإيمان بالقضاء والقدر على الوجه الصحيح يؤدي إلى توحيد الله -سبحانه وتعالى- الذي لا يتم إلا لمن أقرَّ أن الله وحده الخالق لكل شيء في هذا الكون، وأن إرادته ماضية في خلقه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فكل المكذبين بالقدر، أو المنحرفين في فهمه لم يوحدوا ربهم كما ينبغي، ولم يعرفوه حق معرفته، فالمجوس مثلاً زعموا أن النور خالق الخير والظلمة خالقة الشر، والذين زعموا من هذه الأمة أن الله لم يخلق أفعال العباد أو لم يخلق الضال منها، أثبتوا خالقين من دون الله، وكل هذا من الشرك بالله، الذي ينافي في كمال التوحيد وصحة الاعتقاد.

ثانياً: الإخلاص في العبادة

ينطلق المسلم في عبادته لله من منطلق فهمه لمعنى "لا إله إلا الله"، والتي انبثق عنها جميع أركان العقيدة بما فيها ركن القضاء والقدر، والتي تحمل صاحبها على

الإخلاص لله في كل أموره، فتراه يأتمر بما يأمره به، وينتهي عما ينهاه عنه، لعلمه بأن مقاليد جميع الأمور بيد الله، لا راد لفضله، ولا معقب لحكمه، فيقوده ذلك إلى إخلاص العمل لله، وتصفيته من كل شائبة تشوبه؛ لأن الحامل على عدم الإخلاص أو قلته مراآة الناس أو طلب التزين في قلوبهم، أو طلب مدحهم والهرب من ذلهم، أو طلب أحوالهم أو خدمتهم أو محبتهم أو نحو ذلك من الشوائب والعلل التي يجمعها إرادة ما سوى الله من العمل(١).

من هنا فالإيمان بالقضاء والقدر له عظيم الأثر على الفرد والمجتمع من خلال:

١- أن المؤمن بالقدر يدفعه ذلك الإيمان إلى إخلاص العبادة والعمل لله عز وجل-، فيكون الباعث له في جميع أعماله امتثال أمر الله؛ لعلمه المسبق بأن الله يعلم كل شيء ومطلع على كل شيء لاراد لقضاءه ولا معقب لحكمه، فيدرك مدى حاجته إلى الله، لإدراكه أنه إنسان ضعيف لاحول له ولا قوة، فيتجه إلى ربه مخلصا له في كل عمل يقوم ويقدم عليه، حتى ينال ويفوز بالأجر والثواب.

٢- أن المؤمن بالقدر من خلال علمه المسبق أن الله وحده المتصرف في شؤون الكون، ووحده المقدر للأمور، ووحده الضار والنافع، وأن الناس ليس لهم من الأمر شيء في أنفسهم أو غيرهم، لم يعد يبالي بالناس، ولم يسع إلى إرضائهم بسخط الله، فينقاد إلى إيثار الحق على الخلق وإلى الإخلاص في جميع أعماله.

ثالثا: الصلة الدائمة بالله

ينطلق المسلم في نظرته لخالقه بكونه الرب المعبود، المتصرف بشؤون الكون والحياة، وأنه - سبحانه وتعالى- خلقه لعبادته وحده، فيتوجه اليه موقنا بأنه مملوك لله، وأن عليه تعظيمه وإكباره وتقديسه، فيسعى إلى تقوية هذه الصلة بالأعمال التي تقربه إلى ربه، ولا يبالي بالصعاب والعقبات التي تقف في طريقه، فمتى استقر هذا الإيمان

---

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، ٢/٩٣.

في قلبه وإطمأنت به نفسه إلى بارئها ومبدعها، حسنت صلته بالله، فقامت تلك الصلة على الخشوع والإخبات، والتأديب والضبط بالنفس، وتحقيق العدل والرحمة في المجتمع، والوصول إلى السيادة والارتقاء بالكون.[1]

من هنا فالإيمان بالقضاء والقدر له عظيم الأثر من خلال:

١- أن المؤمن بالقدر يدفعه ذلك الإيمان إلى الإذعان والإنقياد والتسليم والخضوع لله في جميع أموره، ولا يتردد في طاعته وطاعة رسوله. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

٢- أن المؤمن بالقدر يشعر بمراقبة الله له، وأنه خاضع في حركاته وسكناته لله سبحانه، فيدفعه ذلك إلى مراقبة نفسه ومحاسبتها على ما أقدم عليه من أعمال في كل يوم وليلة، من أجل تنقيتها من الذنوب والمعاصي. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر: ١٨).

"فحينما تستقر هذه الحقيقة في نفس الإنسان فإنها تهذب نفسه، وتربيها تربية إيمانية توجه سلوكه إلى الخير، وتحد من كبريائه وطغيانه، وترده إلى مخافة الله ومهابته، وإلى الشعور بجلال الله وعظمته، والأدب في حقه، والتحرج من الاستكبار على عبادته، فهي اعتقاد وتصور، وهي عمل وسلوك".[2]

---

(١) محمد الغزالي، عقيدة المسلم، ص١٥٧ بتصرف؛ محمد تيسير العلي، الصلة بالله تعالى، ص٢٨-٢٩.

(٢) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ١/٢٨٧- ٢٩٠ بتصرف.

٣- أن المؤمن بالقدر تدفعه هذه الصلة إلى الثقة بربه، لعلمه المسبق بشمول علمه، وكمال حكمته، وسعة رحمته، وعموم قدرته، وطلاقة مشيئته، وأن الله وليه وحافظه والمدافع عنه. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحج:٣٨).

٤- أن المؤمن بالقدر يدفعه ذلك الإيمان إلى التوجه إلى ربه بالدعاء، بعد الأخذ بكل الأسباب المعينة على قضاء الأعمال، لعلمه بأن قضاء الله نافذ لا راد له إلا هو، وأن الله وحده القادر على تغيير وقلب الواقع، فعن ثوبان مولى رسول الله- رضي الله عنه-، أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال : **(لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وأن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)** [١]، لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر:٦٠)، أي أمرهم بالدعاء ووعدهم الاستجابة. [٢]

رابعاً: الرزق والأجل

يعد الرزق والأجل من الأمور التي اختص الله بها نفسه، وهما من الأمور التي تتعلق بمشيئته وقدرته وقضائه، لذلك نجد الإنسان المؤمن بالقضاء والقدر ينطلق في فهمه من أن الله - سبحانه وتعالى- وحده جالب الرزق، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٨)، وأنه لن يموت حتى يستوفيه ويستوفي أجله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ (آل عمران: ١٤٥). أي لا

---

(١) رواه الامام أحمد، المسند، مرجع سابق، ٥/٢٨٠؛ ٢٨٢؛ ورواه الترمذي، السنن، بلفظ " لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر"، كتاب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلاّ الدعاء، رقم الحديث ٢٢٢٥، ٣/٣٠٨، وقال عنه: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث يحيى بن الضرئيس.

(٢) الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٨/٣٢٧.

يموت أحد إلا بقدر الله، حتى يستوفي المدة التي ضربها الله له [1]. فعن عبدالله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: حدثنا رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وهو الصادق المصدوق قال: (... **ثم يبعث الله ملك فيؤمر بأربع: رزقه وأجله وشقي أو سعيد**) [2].

ومن هنا يعلم بأن رزقه مكتوب، وأنه لن يموت حتى يستوفيه، وأن الرزق لا يجلبه حرص حريص، ولا يمنعه حسد حاسد، وأن الخلق مهما حاولوا إيصال الرزق إليه، أو منعه عنه فلن يستطيعوا إلا بشيء قد كتبه الله له[3].

فالإيمان بالقضاء والقدر له عظيم الأثر على الفرد والمجتمع من خلال:

١- أن المؤمن بالقدر يعلم بأن الحياة والموت بقضاء الله وقدره، فيقدم على الجهاد في سبيل الله، فلن يقدم أو يؤخر ذلك في أجله، ويقول الحق ولا يبالي، فلن يقطع ذلك رزقه، ولن يصيبه إلا ما كتب الله له. قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ (التوبه:٥١).

٢- أن المؤمن بالقدر يقبل على العمل بثبات وعزم ويقين، لأن سعة الرزق وضيقه بقضاء الله وقدره، فيعمل على تحري الحلال في عمله وكسبه ويتجنب الحرام في ذلك، لأنه موقن بأن الأرزاق بيد الله وحده، وأن الناس لن يردوا من ذلك شيئاً مهما وجد لهم من قوة وأعوان.

٣- أن هذا الإيمان يدفع المسلم للإيمان بحقيقة الموت ، لعلمه المسبق بكتابة الله ذلك، فتراه حريصاً على فعل الخير، خائفاً من الأعمال التي يقوم بها، فيدفعه ذلك إلى اليقين والإيمان بوقوفه بين يدي الله، فيدفعه هذا الإيمان أن يكون أكثر استعداداً

---

(١) ابن كثير، مرجع سابق، ١/٤١٠.

(٢) رواه البخاري، فتح الباري، كتاب القدر، باب بدء الخلق، رقم الحديث ٦٥٩٤، ١١/٤٧٧.

(٣) محمد الحمد، مرجع سابق، ص٣٢.

لذلك اليوم بالعمل الصالح، مجتنباً كل ما يسخط الله، مبادراً إلى التوبة مما يقع فيه من الذنوب والمعاصي، ويدفعه ذلك أيضاً إلى عدم ظلم الناس والتهاون في حقوقهم، قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (طه: ١١١).

٤- أن هذه العقيدة- القضاء والقدر- تعطي صاحبها حقيقة التصور للحياة الدنيا، وأنه مهما طال به العمر، فهو عمر قصير لا يلبث إلا وينقضي، فيدفعه هذا التصرف إلى المحافظة على كل ساعة تمر من حياته وجعلها منصبة على الطاعات الجالبة لرضا الله، والمباعدة لسخط الله عليه.

٥- كذلك كان الإيمان بالقدر على هذه الصورة عند الصحابة هو حافزهم للإنسياح في الأرض، سواء لنشر الدعوة، أم طلب الرزق، أم اكتشاف المجهول من الأرض؛ ففي نشر الدعوة نجد أن الإسلام قد امتد من المحيط غرباً إلى الهند شرقاً في فترة من الزمن لا تتجاوز نصف قرن، وفي ميدان طلب الرزق تدفقت الثروات على العالم الاسلامي حتى صار المسلمون من أغنى أمم الأرض [١].

خامساً: التوكل والأخذ بالأسباب

يعد التوكل على الله – سبحانه وتعالى- من أعظم ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر، لأن فيه اعتماد القلب على الله وحده لا شريك له، وتفويض الأمر إليه، والاستعانة به مع الأخذ بالأسباب المأمور بها، واعتقاد أنها لا تجلب بذاتها نفعاً ولا تدفع ضراً، بل السبب والمسبب فعل الله، والكل بمشيئته، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، مع التسليم لقدر الله والرضى بما يكون العبد عليه[٢].

---

(١) محمد قطب، ركائز الإيمان، مرجع سابق، ص٤٢٧-٤٢٨ بتصرف.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر: سالم القرني، التوكل على الله، ص٢١-٢٨.

يقول ابن القيم - رحمه الله - مبينا أهمية مكانة التوكل : "التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل: هو الاستعانة والإنابة هي العبادة"[1].

من هنا ترك الإيمان بالقضاء والقدر أمورا عظيمة على الفرد والمجتمع من خلال:

١- أن هذا الايمان يفرض على المسلم أن يأخذ بمبدأ التوكل على الله، مع الأخذ بالأسباب عن طريق مدافعة أقدار الله بأقداره، فالتوكل على الله لا يعني التواكل وترك العمل "بل لابد من فعل الأسباب حتى يكمل التوكل على الله؛ لأنه قد جعل للاشياء أسبابا تكون بها، فيعلم أنها تكون بتلك الأسباب. كعلمه -سبحانه- أن هذا -الإنسان- ينبت له الزرع بما يسقيه من الماء ويبذره من الحب، فلو قال: إذا علم أن سيكون فلا حاجة إلى البذر؛ كان جاهلا ضالا، لأن الله علم أن سيكون بذلك، وكذلك إذا علم أن هذا يشبع بالأكل، وهذا يروى بالشرب، وهذا يموت بالقتل، فلا بد من الأسباب التي علم الله أن هذه الأمور تكون بها [2].

٢- أن التوكل على الله لا يعني ترك العمل وترك الأخذ بالأسباب والتسليم لما يقدره الله، كما فهمه بعض الجهلة من أبناء المسلمين القائلين بأن كل ما يصيبهم هو قدر من عند الله، ولا ينبغي مقاومته، وإنما يجب الاستسلام له، وأنه لا حاجة إلى الكد والعمل في طلب الرزق، لأن الرزق مكتوب سيأتي صاحبه، ولا ضرورة للنشاط والحركة.

إن هذا الفهم المنحرف في باب القدر والأخذ بالأسباب ليس عيبا في الإسلام، وإنما هو عيب المسلمين الذين يفهمون هذا الفهم، لأن الكتاب والسنة مملوءان بالأوامر

---

(١) ابن القيم، مدارك السالكين، مرجع سابق، ١١٢/٢.

(٢) انظر: سالم القرني، مرجع سابق، ص١٤٠.

والتوجيهات للإنسان أن يعمل الصالحات، ويطلب الرزق، ويعمر الكون[1]. يقول تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبه:١٠٥).

٣- أن الإيمان بالقضاء والقدر يدفع صاحبه إلى الثقة بالله- عز وجل- لعلمه المسبق أن الله قد تكفل برزقه؛ ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٢-٢٣)، فينطلق إلى العمل والنشاط والسعي بما يرضي الله بثبات وثقه ويقين على الله من تحقيق وتحصيل هذا الرزق.

١- أن المؤمن بالقدر يعلم أن ما به من نعمة فهي من الله وحده، وان الله هو الدافع لكل مكروه ونقمة، فيبعثه ذلك إلى إفراد الله بالشكر؛ فإن انزل به ما يحب شكر الله عليه، إذ هو المنعم والمتفضل، وإذا نزل به ما يكره شكر الله على ما قدره عليه؛ كظماً للغيظ، وستراً للشكوى، ورعاية للأدب، وسلوكاً لمسلك العلم، فإن العلم بالله والأدب مع الله يأمران بشكر الله على المحاب والمكاره، وإن كان الشكر على المكاره أشق وأصعب، ولذلك كان الشكر أعلى من الرضا.[2]

---

(١) عبدالرحمن المحمود، مرجع سابق، ١١٢/٢.

(٢) محمد الحمد، مرجع سابق، ص٢٩.

عن طبيعة الكون، ومعتقداته عن الخلق والحياة، ليقيم- الإسلام- مكان ذلك كله الإيمان الخالص بالواحد الأحد، ثم يطالبه بالتعرف على نفسه ليدرك بعض أسرار عظمة الله في خلقه وأخيراً يدعوه إلى التأمل والنظر والسياحة في هذا الكون الكبير. (١)

وعلى هذه التصورات التي جاء بها الإسلام- حول الإنسان وعلاقته بخالقه وعلاقته بالكون والحياة- قامت العقيدة الإسلامية، ومنها عقيدة القضاء والقدر التي انطلق منها الإنسان المسلم في تعامله مع كل ما يحيط به من مجالات الحياة المختلفة، وانعكاس ذلك على سلوكه وتعامله بشكل عام.

ويتناول هذا المطلب أهم الآثار التربوية التي قامت على هذا التصور، وانعكاس ذلك على عقيدة القضاء والقدر في المسائل:

أولاً: الإتباع وعدم الابتداع

أن المؤمن بالقدر تدفعه قدرته العقلية التي منحه الله إياها، إلى الاعتقاد بأن الله خلق هذا الكون وسخر ما فيه لخدمته، لأجل القيام بعبادته وطاعته المطلقة،﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات:٥٦)، كل ذلك يدفعه إلى الإيمان بأن كل ما جرى ويجري في هذا الوجود خاضع لقدرة الله، ولا يقع في ملكه- سبحانة وتعالى- إلا ما يريد، فيقبل على الله بعقله وقلبه متيقناً تمام اليقين أن كل ما جاء في الإسلام من أحكام وعبادات شامل لكل شيء، وأن الله وحده يعلم تلك الأمور ولم يطلع عليها أحداً من خلقه، وأنه- سبحانه وتعالى-استأثر بها في علم الغيب عنده، وأن مشيئته نافذة وفق إرادته لا يؤثر فيها شيء من أعمال أصحاب الأهواء الذين "وصف القرآن أثر اتباعهم لهواهم بقوله تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الروم: ٢٩)، لأنهم

---

(١) عبدالرحمن عميره، منهج القرآن في تربية الرجال، ص٤٣.

اعتمدوا على عقولهم فقط ولم يعتمدوا على العلم القطعي الذي بينه الله في كتابه، حيث وصف القرآن العلاج للقضاء على اتباع الهوى بالتوجه الكلي إلى الله والامتناع عن مخالفة أمره، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات: ٤٠-٤١)، فهذه السبيل كفيلة بأن لا تخرج الإنسان عن طريق الحق، وارتياد سبيل الضلال [١].

من هنا فالمؤمن بالقدر من خلال علمه بأن الله منحه القدرة العقلية، وأعطاه الحرية المطلقة في التفكير، وما ترتب على ذلك من مسؤولية أمام الله في الدنيا والآخره، **كل ذلك يدعوه إلى:**

١- تحرير العقل من التقليد الأعمى، والانسياق وراء الآخرين دون وعي أو تمييز، حتى يمكنه أن ينطلق في البحث المنهجي السليم في تحصيل المعارف والعلوم وكسب الخبرات والتجارب. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٠).

وعن حذيفة بن اليمان- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله (**لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا**) [٢]. كل ذلك يؤدي إلى قيام مجتمع مسلم خالٍ من الأفكار والمعتقدات التي تتعارض مع العقل الصريح والنقل الصحيح، وعدم انشغال أبناء المجتمع المسلم في أمور تهدر الطاقات والجهود، وتعكر صفو العقيدة الصحيحة التي جاء بها الوحي، كالشعوذة والكهانة والعرافة والتطير.

---

(١) انظر: عفيف طبارة، روح الدين الاسلامي، ص ١٩-٢٠ بتصرف.

(٢) رواه الترمذي، السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الاحسان والعفو، رقم الحديث ٢٠٠٧، ٣٦٤/٤ ، وقال عنه:حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه.

٢- استثمار العقل في الإدراك القويم، والاقتناع المنطقي، ودعم الإيمان بالحجة والدليل والبرهان، وتجنب إقحام العقل فيما لا يدركه ولا يحيط به من أمور الغيب حتى لا يضيع جهد الإنسان ووقته سدى، كل ذلك يؤدي إلى قيام مجتمع مسلم واعي للأمور الدينية التي يعتقدها ، فيؤثر في أفراد المجتمعات الأخرى ويمنحها من معتقداته التي تنير لها طريقها وتخرجها من ظلمات المادية وشرورها.

ثانياً: عدم اتباع الظن

أن المؤمن بالقدر تدفعه منهجيته العقلية التي هداه الله إليها إلى الانطلاق نحو البحث عن الحقائق التي توصله إلى الحق عن طريق التأمل والتدبر في آيات الله الكونيه، يقول الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣) ، إلا أن المنهج الإسلامي وضح للعقل مجالات بحثه، وبيَّن له أن مجاله محدود فيما هو مشاهد أو محسوس، أما قضايا الغيب فإن لها شأناً آخر يكون فصل القول فيه لمصدر معرفي آخر هو النقل. "فيبدأ الإسلام التربية العقلية بتحديد مجال النظر العقلي، فيصون الطاقة العقلية أن تتبدد وراء الغيبيات التي لا سبيل للعقل البشري أن يحكم فيها، ويعطي للإنسان نصيبه من هذه الغيبيات، بالقدر الذي يلبي ميله للمجهول.

ثم بعد ذلك يأخذ في تدريب الطاقة العقلية على طريقة الاستدلال المثمر والتعرف على الحقيقة، فيتخذ إلى ذلك وسيلتين:

الوسيلة الأولى: وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي.

والوسيلة الثانية: تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط.

والوسيلة الأولى يصل اليها بطائفة من التوجيهات والتدريبات:

• فهو أولاً يبدأ بتفريغ العقل من كل المعتقدات السابقة التي لم تقم على يقين، وإنما قامت على مجرد التقليد أو الظن. فينبغي على المقلدين الذين يقولون: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ (الزخرف:٢٣)، وقولهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ ، (البقرة:١٧٠) ، وينعي على الذين يتبعون الظن بقولـــه ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾ (النجم:٢٣)، وقوله تعـــالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (النجم: ٢٨).

• ثم يأمر بالتثبت من كل أمر قبل الاعتقاد به واقتفائه،يقول تعـــالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الاسراء:٣٦)، وهي مسؤولية ضخمة، يبرز التعبير ضخامتها بإفراد السمع والبصر والفؤاد في مبـدأ الأمر ليكون كل واحد منهما مسؤولاً على حده، ثم جمعها بعد ذلك، وإشـــراكها فـــي المسؤولية، بهذا التأكيد: "كل أولئك" . وذلك كله ليحس الإنسان بعظم التبعة وهو يقدم على الأمر فلا يأخذ الأمور باستخفاف، ولا يأخذها بلا تثبت وهو عنها مسؤول. (١)

ومن هنا فالمؤمن بالقدر لا يقبل على أي أمر من أموره، وبخاصة الاعتقاديـــة منها إلا بالرجوع إلى الإسلام وما جاء فيه من أحكام، لعلمه المطلق بصحتها وسلامتها وصدق ما فيها، وإيمانه بثبات وقوة مصدرها، وإلى كونها مســـتمدة مـن قبـل الله- سبحانه وتعالى- الذي منحه إياها لعلمه بحاجته- الإنسان- إليها، وأعطاه حرية التفكير

(١) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ٧٧/١-٧٨ بتصرف.

في الأمور التي يستطيع إدراكها بحواسه، من أجل التوصل إلى الحقائق بعيداً عن اتباع الظن وتقليد الآخرين دون بذل الجهد والطاقة الموصلة لتلك الحقائق، الإحساس بالمسؤولية الكاملة في استعمال نعمة العقل الربانية بحقها وفي وجهها الصحيح، فلا تستغل إلاَّ في الخير والهداية، وتوقي الضرر والفساد والغواية، فهي مكرمة للإنسان دون غيره من المخلوقات وحجة له وعليه في آن واحد. قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ (الاسراء: ٣٦)، ويقول الرسول - صلى الله عليه وسلم-: (**عودوا قلوبكم الترقب وأكثروا التفكر والإعتبار**)[١].

ثالثاً: الدعوة إلى العلم النافع

أن المؤمن بالقدر يدفعه ذلك الإيمان إلى توجيه قواه العقلية نحو العلوم النافعة، لعلمه بأن الله- سبحانه وتعالى- خلق هذا الكون وسخر ما فيه لخدمته، وأنه بهذه القدرة العقلية أصبح مسؤولاً أمام الله- سبحانه وتعالى- عن كل عمل يقوم به، لهذا تراه يقوم بتوجيه فكره إلى العلم النافع، الذي يعود عليه وعلى مجتمعه بالخير والفائدة، يقول الرسول- صلى الله عليه وسلم-(**تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله**) [٢].

---

(١)رواه الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، عن الحكم بن عمير، ٢/٥٦؛ وقال المناوي: رواه الديلمي عن الحكم بن عمير، وفيه يحيى بن سعيد العطَّار. قال الذهبي قال ابن عدي بيِّن الضعف. انظر: المناوي، مرجع سابق، رقم الحديث ٥٦٣٩، ٤/٣٦٧؛ ورواه المتقي الهندي، كنز العمال سنن الأفعال والأقوال، ٣/١٠٦.

(٢) ذكره الهيثمي عن ابن عمر- رضي الله عنهما-، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه الوازع بن نافع وهو متروك. انظر: مجمع الزوائد، مرجع سابق، ١/٨١؛ وروي عن ابن عباس -رضي الله عنه- موقوفاً عليه بلفظ " تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله"، ذكره ابن حجر وقال: سنده جيد، انظر: الفتح، ١٣/٣٨٣؛ وقال العجلوني: روي بألفاظ متعددة، وأسانيد وطرق مختلفة أسانيدها ضعيفة، لكن اجتماعها يكسبه قوة ومعناه صحيح، انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس، ١/٣١١.

من أجل ذلك يهتم الاسلام اهتماماً بالغاً بلفت الحس البشري إلى التدبر في السماوات والأرض والحياة والإنسان . ويجعل التدبر في هذا الأمر جزءاً من العقيدة، تقوم به القوة الواعية في الإنسان، حتى لا تذهب بدداً ونتيه في الظلمات[1].

يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم : (**عودوا قلوبكم الترقب وأكثروا التفكر والاعتبار**)[2] ففي هذا الحديث حث على عملية التفكير الدقيق الذي يستطيع أن يميز به الإنسان الأمور الدينية والدنيوية صالحها وطالحها، نافعها وضارها.

فعملية التفكير هي أساس التدبر، والتدبر هو أساس الإقناع بالحجة والدليل والبرهان، والإقناع هو أساس الإيمان الصحيح والسلامة في الدارين، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد : ٢٤) .

والعلوم التي يدعوا الإسلام إلى تعلمها هي العلوم التي تبصر المسلم بعظمة الله وقدرته المتجلية في آيات صنعه كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر:٢٨). كما أن هناك إلى جانب هذه الحكمة، حكماً أخرى هي ما يتبع هذه العلوم من منافع مادية دنيوية آتية من استخدام حقاق العلم في شؤون الحياة، سواء أكان في الأمور الدينية أو في الشؤون المادية، فالعلوم الطبيعية وعلم النفس وعلم التاريخ والجغرافيا والإجتماع وغيرها هي العلوم التي قصدها القرآن بجانب العلوم الدينية. [3]

من هنا فالمؤمن بالقدر من خلال علمه بأن الله منحه القدرة العقلية، وأعطاه الحرية في التفكير بالأمور التي يدركها عقله، وما ترتب على ذلك من مسؤولية أمام الله في الدنيا والآخره، كل ذلك يدعوه إلى تسخير العقل بصورة مستمرة في طلب العلوم والمعارف النافعة، وكسب المهارات والخبرات اللازمة التي تفيد الإنسان في حياته. قال

---

(١) محمد قطب، منهج التربية الاسلامية، مرجع سابق، ٨٢/١ بتصرف.

(٢) سبق تخريجه، ص ٨٦.

(٣) انظر: عفيف طباره، مرجع سابق، ص٢٦٦-٢٦٧ بتصرف.

تعالى: : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه:١١٤)، كل ذلك يؤدي بالمسلمين إلى الإقبال على مختلف العلوم التي تصب في المصلحة العامة للمجتمع المسلم، وعدم الاكتفاء بالنقل والأخذ عن غير المسلمين في تلك العلوم، لذلك كان تعلم العلوم فرض كفاية على المسلمين، إن قام به أحد منهم سقط على البقية، وإلا فهم جميعاً مسؤولون أمام الله عن تقصيرهم في ذلك الأمر.

رابعاً: الدعوة إلى العمل الجاد

إن المؤمن بالقدر ومن خلال علمه بأن الله- سبحانه وتعالى- خلقه من أجل القيام بعبادته، وأنه- سبحانه وتعالى- أعطاه حرية العمل، وسخر كثير مما في هذا الكون لخدمته، يدفعه هذا الإيمان إلى الإقدام على العمل بكل جد ونشاط، "فهو حازم في أموره، منتهز للفرص التي تمر به، حريص على كل خير ديني أو دنيوي، إذ الإيمان بالقدر يدعو إلى ذلك؛ فلم يكن داعية إلى البطالة، والإقلال من العمل البته.

بل كان له عظيم الأثر في إقدام عظماء الرجال على جلائل الأعمال، التي يسبق إلى ظنونهم أن استطاعتهم وما لديهم من الأسباب الحاضرة يقصران عن إدراكها".[١]

يقول النبي- صلى الله عليه وسلم- **(إحرص على ما ينفعك ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا أو كذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل).** [٢]

فهذه الصورة الصحيحة للإيمان بالقدر في حياة الأجيال الأولى من المسلمين، هي التي صنعت تلك العجائب التي سجلها تاريخهم، والتي ثبّتت الدعوة في الارض ونشرتها على نطاق واسع في فترة وجيزة من الزمن. وهي التي أقامت هذا البناء الشاهق في كل ميدان من ميادين الحياة. [٣]

---

(١) محمد الحمد، مرجع سابق، ص٣٥.

(٢) رواه مسلم، كتاب القدر، باب الإيمان بالقدر والإذعان له، حديث رقم: ٢٦٦٤، ١٦/١٦٤.

(٣) محمد قطب، ركائز الإيمان، مرجع سابق، ص٤٢٦.

المطلب الثالث

أثر عقيدة القضاء والقدر في الجانب الجسمي

لقد اهتمت التربية الإسلامية بالبناء الجسمي للشخصية الإسلامية، كاهتمامها ببناء سائر الجوانب، وذلك يظهر من خلال ما جاءت به الشريعة الإسلامية من مبادئ وقيم تضمن للإنسان حياة صحية صحيحة، ومن أهم ما جاءت به في هذا الباب الأمور التالية:

١- تربية الإنسان على تنظيم تناول طعامه وشرابه، وعدم خضوعه لشهوة الطعام والشراب.

٢- تربية الإنسان على الحصول على مطالبه الجنسية وإشباعها حسب الأسس التي حددها الإسلام.

٣- تربية الإنسان على اكتساب المهارات البدنية التي يتمكن جسده من ممارستها.

٤- تربية الإنسان على اكتساب قواعد المحافظة على صحته والوقاية من المرض.

٥- تربية الإنسان على اكتساب قواعد النظافة والطهارة بما يحافظ على سلامة الجسد[١].

ويتناول هذا المطلب أهم ما تركته عقيدة القضاء والقدر في هذا الجانب من خلال:

أولا: العافية وبناء الجسم

يحرص الإسلام على سلامة وعافية الأبدان حرصه على سلامة العقيدة والتصور، لأن من تمام سلامة العقيدة والتصور، حسن الأداء وبذل الجهد والجهاد في سبيل الله، ولا يكون ذلك إلا بحيازة الصحة والعافية والعمل على ضمانهما[٢].

---

(١) عبدالجواد بكر، مرجع سابق، ص٢٦٦.

(٢) عجيل النشمي، معالم في التربية، ص١٦٨.

لهذا اهتم الإسلام بتنمية الجسد وقوة الأعضاء لكي يصبح الفرد قادراً على أداء الوظيفة التي خلقه الله من أجلها في هذا الكون لعبادة الخالق، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات:٥٦)، ولكي يستطيع النهوض بأعباء التكاليف الحياتية المنوطة به، وأداء دوره في العطاء والبناء، والسعي في طلب الرزق والمعيشة لسد حاجاته إلى الطعام واللباس والمأوى وحاجات من يعول، وحمل رسالة الإسلام والجهاد في سبيل الله، والزود عن ديار الإسلام وتحمل المشاق وضروب البلاء، قال تعالى: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ (القصص: ٢٦)، وقال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ (البقرة: ٢٤٧) [١]، من أجل ذلك وضع الإسلام للأبدان تشريعات خاصة، تقيها من العلل وتحفظها من الأمراض، وذلك لما للصلة المتينة بين الروح والجسد، ولأن صاحب الجسد العليل لا تتاح له الفرصة للسير في مضمار الحياة، والقيام بواجبه الإنساني الكبير كعضو في الهيئة الاجتماعية[٢].

من هنا فإن سلامة الجسم لها تأثير كبير في الجوانب الأخرى، فلا شك أن الصحة والقوة وحسن النمو واللياقة البدنية تسهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة في النمو العقلي للفرد، وفي تكامل شخصيته، وفي نجاحه في الحياة. وتقرر الحكمة اليونانية الشهيرة (العقل السليم في الجسم السليم)، قاعدة صحية عامة، نلمسها في حياتنا، إذ إن مصدر سعادة الإنسان تكمن في سلامة العقل والجسم معاً، وليس في مقدور الرجل العليل الذي يعاني من الأمراض، والخائر القوى، والضعيف الجسم أن ينتفع بذكائه وقدراته العقلية، فهو حبيس جسده العليل، وأسير أمراضه وعلله"[٣].

---

(١) عز الدين التميمي، بدر اسماعيل سمرين، نظرات في التربية الإسلامية، ص٧٢-٧٣.

(٢) عفيف طبارة، مرجع سابق، ص٤١٥-٤١٦.

(٣) عبدالحميد الزنتاني، مرجع سابق، ص٣٠٥.

من هنا كان لعقيدة القضاء والقدر أثر كبير في التأثير على الفرد من أجل المحافظة على سلامة وعافية الجسم من خلال:

١- أن المؤمن بالقدر يعلم علم اليقين أن الله- سبحانه وتعالى- خلقه في هذا الكون من أجل عبادته والقيام بالأعمال الموكلة اليه من تعمير وبناء، وأنه لا يمكن له القيام بتلك المهمة على أكمل وجه، إلا من خلال جسم قوي أعطاه الله له كأمانة سيحاسب عليها، يقول الرسول- صلى الله عليه وسلم-: **(لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما عمل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه)**[١]، لهذا يشعر بعظم هذه الأمانة، والمسؤولية المترتبة عليها، فيقدم على المحافظة على جسمه من خلال اتباع ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؛ من توجيهات تمكنه من صون وسلامة جسده.

٢- أن المؤمن بالقدر يعلم علم اليقين أن جسمه عرضه للأمراض ومحل للابتلاء من قبل الله، وأنه في حال اصابته بأحد هذه الأمراض، فإن عليه الإقبال على التداوي والمعالجة، لكونها- المعالجة- من قدر الله، وأن أقدار الله ترفع بأقداره، فعن سفيان بن مره- رضي الله عنه- قال : سألت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- **(أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقي بها وتقى نتقيها أترد من قدر الله شيئا. قال- صلى الله عليه وسلم-: (هي من قدر الله")** [٢].

وعن أبي هريره- رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: **(ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء)**[٣].

---

(١) رواه الترمذي، السنن، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، رقم الحديث ٢٦٣٥، ٣٦/٤، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه الإمام أحمد، المسند، ٤٢١/٣؛ ورواه الترمذي السنن، كتاب القدر، باب ما جاء لا ترد الرقى والدواء من قدر الله شيئا، رقم الحديث ٢٢٣٨، ٣٠٨/٣، وقال حديث لا نعرفه إلا من حديث الزهري.

(٣) رواه البخاري، الفتح، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء وإلا أنزل له شفاء رقم الحديث٥٦٧٨ ، ١٣٤/١.

ففي هذه الأحاديث رد على من أنكر التداوي من بعض الصوفية الذين قالوا: إن كان الشفاء قد قدر، فالتداوي لا يفيد، وإن لم يكن قدر، فكذلك، وأيضا فإن المرض حصل بقدر الله، وقدر الله لا يرد.

فصريح الأحاديث تشير إلى الأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافي دفع داء الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا، وأن تعطيلها بقدح في نفس التوكل، بل لا بد مع هذا الإعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلا، ولا توكله عجزا[1].

ثانيا: وقاية الجسم من الأمراض

اهتم الإسلام بالوقاية من المرض اهتمامه بالتداوي، فكما أن التداوي واجب، فإن الوقاية من المرض تأخذ نفس الحكم، فإن النهي عن الوقوع في المرض والوقاية منه واجبة، بحيث يأثم من عرض نفسه للمرض ولم يحاول الوقاية منه؛ "فالمتتبع لخطوات النبوة عبر السيرة والسنة، يجدها زاخرة بالتدابير والتوجيهات والوصايا الوقائية على كل صعيد. مما يؤكد أن عملية التربية في الإسلام تهدف إلى قطع الطريق على العلة قبل حدوثها، وتقي الأفراد والمجتمع منها قبل وقوعها. وبذلك تبقى البيئة الإسلامية معافاة من الأمراض والمشكلات والآفات التي تفتك بسائر البيئات الأخرى...."[2]

من هنا كان لعقيدة القضاء والقدر دور بارز في بلورة أفهام الصحابة ودفعهم للمحافظة على أجسامهم ووقايتها من المرض، وهذا ما حدث مع عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح- رضي الله عنهما- عند سماع الصحابة بوباء الطاعون الذي وقع بالشام، وقول أبي عبيدة لعمر بن الخطاب- رضي الله عنهما- عندما قرر الرجوع

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر: يوسف القرضاوي، التوكل، مرجع سابق، ص٧٥-٨١.

(٢) فتحي يكن، التربية الوقائية في الإسلام، ص٤٣.

بالجيش: أفرارا من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم: نفر من قدر الله إلى قدر الله...[1]

وقد ورد في مرض الطاعون عن أسامة بن يزيد- رضي الله عنهما- عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أنه قال: **(إن هذا الوجع أو السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم ثم بقي بعد بالأرض، فيذهب المرة ويأتي الاخرى، فمن سمع به بالأرض فلا يقدمن عليه، ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرجه الفرار منه)**[2].

ففي الحديث حث لمن أصيب بهذا المرض للرضى بقضاء الله وقدره، وأن عليه وقاية غيره منه، "فإن المرض إذا كان معديا وفي ذات الوقت لا يمكن العلاج منه فلا جدوى من الهروب من أمكنة انتشاره، بل يقال تفريعا على هذا أن من حق الإمام أن يمنع الناس في أمراض الأوبئة من الخروج والسفر ويمنع غيرهم من الدخول، حفاظا على الأصحاء من عدوى المرض".[3]

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٩.

(٢) رواه مسلم، شرح النووي، بألفاظ مختلفة، كتاب الطب، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، حديث رقم ٢٢١٨، ٢٠٣/٥؛ ورواه البخاري، الفتح، بلفظ " إذ سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض فلا تخرجوا منها"، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، رقم الحديث ٥٧٢٨، ١٧٨/١٠.

(٣) عجيل النشمي، مرجع سابق، ص١٧٠-١٧١.

المطلب الرابع

أثر عقيدة القضاء والقدر في الجانب النفسي

يقصد بالجانب النفسي "مجموعة العواطف والمشاعر والأحاسيس والانفعالات النفسية التي ينبني عليها سلوك الفرد، وتطبع مزاجه الشخصي بطابع خاص، وتؤثر في موافقه واتجاهاته في الحياة، وتتأثر بها صحته النفسية والعقلية والجسدية أبلغ تأثير في مختلف مراحل نموه وعمره".(١)

ويتناول هذا المطلب بعض أهم مظاهر الانفعالات التي تظهر على الفرد المسلم؛ كالانفعال الخفي: كالحسد والحقد، والانفعال الشديد: كالخوف أو الغضب، والانفعال المثبط: كالحزن، وغيرها من مصادر الانفعالات النفسية الأخرى، وأثر عقيدة القضاء والقدر من حيث التأثير عليها؛ وبيان دورها في التحكم بها من خلال ضبط نوازعها وأهوائها عن طريق اشباعها بالسبل المشروعة، ومنعها من الانسياق وراء نوازعها المدمرة على الفرد والمجتمع المسلم، من خلال الأمور الآتية:

أولاً: السكينة والطمأنينة

تعد السكينة والطمأنينة من أهم الآثار التربوية النفسية التي تظهر عند الايمان بعقيدة القضاء والقدر "ففي السكينة ثبات للقلب عند هجوم المخاوف عليه وسكونه وزوال قلقه واضطرابه، والطمأنية موجبة للسكينة وأثر من آثارها وهي نهاية درجة السكينة"(٢)، من هنا:

١- فالمؤمن بالقضاء والقدر ساكن القلب، مطمئن النفس، مرتاح البال يوقن أن الخير في ما اختاره الله له، وأن الخير كله بيده، قال تعالى:﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ

---

(١) عبدالحميد الزنتاني، مرجع سابق، ص٥٤٢.

(٢) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، مرجع سابق، ٢/٥٣٦-٥٣٨.

شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦)، فيدفعه ذلك الإيمان إلى عدم التفكير في خفايا المستقبل، فيعمل على الأخذ بالأسباب المُعنية على سبل العيش الحلال الكريم، لأن كثرة التفكير والخوف من المستقبل لا يقدم ولا يؤخر في ميزان الله- سبحانه وتعالى- ولا يناله من هذه الدنيا إلا ما كتب له منها.

٢- أن هذا الايمان متى استقر بالقلب واطمأنت به النفس، فإنه يدفع صاحبه إلى الابتعاد كل البعد عن كل هم وقلق واضطراب ، " فإن مصدر الهم والقلق هو استشعار الإنسان بضعفه أمام أحداث الحياة، ولكن الإيمان القوي بالله الذي له التصرف في هذا الكون، والاعتماد عليه، يلقى في نفس الإنسان الطمأنينة والقوة التي تتضاءل أمامها هموم الحياة بحيث يراها شيئاً تافهاً لا تستحق الالتفات.

وقد اعترف بهذه الحقيقة الدكتور (بريل) إذ قال: "إن المرء المتدين حقاً لا يعاني قط مرضاً نفسياً". ويقول (ديل كارينجي): "إن أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا القلق والتوتر العصبي وأن يشفيا هذه الأمراض"[1].

إلا أن المؤمن بالقدر لا يدفعه ذلك الإيمان لدرجة التواكل وعدم العمل رضاءً لما سيحصل له في المستقبل، بل اقتضت حكمة الله بشعور الإنسان بشيء من القلق النفسي وما يتضمنه من إحساس بالخطر والتوقع له، فيدفع الإنسان ليحتاط للأمور قبل حدوثها، ويحث النفس على أن تعمل وتسعى وتبذل الجهد من أجل تأمين المستقبل، وحماية النفس من أي أخطار محتملة، فالإنسان يفعل الكثير في حياته حتى يستشعر الأمان، مثلما يعمل حتى يتخلص من آلامه الجسدية، ويستعيد عافيته فالقلق النفسي لا بد منه كي يستشعر

---

(١) عفيف طبارة، مرجع سابق، ص١٧٤.

الإنسان مخاطر المستقبل بما فيها المخاطر المعنوية، والمخاطر على أولاده، والمخاطر على مصيره في الدنيا والآخره[1].

٣- أن المؤمن بالقدر يدفعه إيمانه إلى عدم التأسي والحزن على ما فاته في حياتـه، "فإذا كان الخوف يتعلق بالقلق على المستقبل، فالحزن يتعلق بالقلق على المـاضي، وكلاهما ينبع من تقدير الإنسان للحياة الدنيا فوق قدرها والاعتزاز بها، والحـرص عليها مهما بلغت من القبح والذل والانحطاط فالمؤمن يأخذ بأسبابها، ويتمتع بطيبها، ولكنه يؤمن بأن الحياة نعمة قد تفضل الله بها عليه وهبة يستردها أنّى شـاء منـه، ولذلك يشعر شعوراً عميقاً بالتسليم لله والرضا بقضائه، والشكر له على ما أعطـى وأخذ، يقول تعـالى: ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ (الحديد:٢٣).[2]

ثانياً : الصبر والرضا

خلق الله الإنسان في هذه الحياة الدنيا من أجل عبادته والقيام بالأعمال والتكاليف التي أرشده اليها، وجعل له هذه الحياة دار ابتلاء ومحن، وفطر فيه حبها والرغبة فـي متاعها، كارهاً الآلام والمصائب التي تحل به، "يحب الخير لنفسه ويمنعه عـن غـيره، ويكره الشر لنفسه ويجزع منه، قال تعـالى: ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ (المعارج: ١٩-٢٠)، فإن أصابه الخير بطر واغتر به، وإن أصابه الشر والمصيبة جزع وحزن، ولا يعصم الإنسان من البطر والطغيـان إذا

---

(١) محمد الشريف، سكينة الايمان، ص١٩بتصرف.

(٢) أحمد عبدالحميد غراب، الشخصية الانسانية في ضوء القرآن الكريم، ص٩٩-١٠٠ بتصرف.

أصابه الخير؛ والحزن إذا أصابه الشر، إلا الإيمان بالقدر، وأن ما وقع فقد جرت به المقادير وسبق به علم الله"[1].

من هنا كان للقضاء والقدر دور بارز في حمل صاحبه على الصبر والرضا لكل ما يصيبه في حياته فالفرق بين الرضا والصبر "أن الصبر حبس النفس وكفها عن السخط مع وجود الألم وتمني زواله، وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع، والرضا يوافق الصبر في حبس النفس وكف الجوارح؛ ويزيد عليه عدم تمني زوال الألم، ففرح العبد بالثواب وحبه لله- عز وجل- وانشراح صدره بقضائه يجعله لا يتمنى زوال الألم.

فالرضى لم يوجبه الله- عز وجل- على خلقه ولكن ندبهم إليه وأثنى على أهله، وأخبر أن ثوابه رضاه عنهم، الذي هو أعظم وأكبر وأجل من الجنات وما فيها، فمن رضي عن ربه رضي الله عنه" [2]. قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة:١٥٥-١٥٧)، فالمقصود بالمصيبة "ما يصيب الإنسان من ألم أو أذى أو ضرر مادي أو معنوي في نفسه أو بدنه أو ماله أو أهله أو إخوانه أو من يهمه أمره وشأنه، وهذه المصائب بهذا المعنى تسمى بلاء وفتنة وابتلاء لما فيها من امتحان للعبد في هذه الدنيا، وبهذا قضت سنة الله قال تعالى: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾

---

(١) عبدالرحمن المحمود، مرجع سابق، ص٢٩٦.

(٢) أحمد فريد، مواقف ايمانية، ص٢٨٤-٢٨٥.

(العنكبوت: ١-٣) وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة:٢١٤)، ومن هنا فالمؤمن بالقضاء والقدر على الوجه الصحيح عند حلول المصائب عليه فإنه:

أ- يستحضر حالاً في ذهنه ما علمه الله تعالى من معاني القدر ومنها ما في الآية الكريمة ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التغابن:١١) ، قال بعض السلف في تفسير هذه الآية: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم. وفي الحديث الشريف: **(واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)** [1]. وبهذا تهدأ نفس صاحب الإيمان بالقدر ولا تنال منه المصائب إلا كما تنال الموجه الفاترة من الصخرة الصماء، أما غيره فإنه قد ينكسر أمام المصائب وتذهب نفسه حسرات ويظل يولول ويشتكي.

ب- صاحب الايمان بالقدر يتحلى بالصبر الجميل في جميع أنواع المصائب، والصبر الجميل هو الذي لاشكوى فيه ولا جزع ولا تذمر ولا تسخط على الأقدار، قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ (الروم: ٦٠).

ج- وإذا كانت المصيبة مما يمكن دفعها كالمرض مثلاً، دفعها بالأسباب المشروعة والمقدورة فإن اندفعت فبها، وإن لم تندفع أعاد المحاولة دون ضجر أو سخط فإن في

---

(١) رواه الامام أحمد، المسند، ٢٩٣/١؛ الترمذي، السنن، كتاب صفة القيامة، رقم الحديث ٢٦٣٥، ٧٦/٤، وقال عنه: حديث حسن صحيح.

تأخير رفع البلاء حكمة لله ولكن هذا لا يمنع من الحرص على دفع المصيبة والسعي لذلك.

د- مصيبة لا يمكن دفعها ولا رفعها لأنها وقعت وانتهى الأمر كالموت مثلاً، ففي هذه الحالة يفقه صاحب الإيمان بالقدر قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٦).

فمن صبر جوزي بأحسن الجزاء بغير حساب. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر: ١٠) [١]

ثالثاً: العزة والكرامة

عندما خلق الله الإنسان على وجه الأرض، قام بتزويده بحاجات نفسية فطرية إذا لم تشبع هذه الحاجات بصورة صحيحة وفي وقتها المناسب، أحدثت خللاً في حياة الفرد والمجتمع بدلاً من إحداث التوازن المنشود، ومن هذه الحاجات الشعور بالعزة، وبدون هذا الشعور تصبح الحياة بليدة لا معنى لها، بل يصبح الموت غالياً بفقد العزة والشعور بالكرامة.

من هنا فالعزة عند المسلم تنبع من عقيدته المتعلقة بارتباطه بالله- عز وجل- والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعقيدة القضاء والقدر؛ التي تدفع المؤمن بها إلى اليقين بأن الارزاق والآجال بيد الله، وأن الناس لا يملكون من أمرها شيئاً لتعلقها بمشيئة الله، فلا يذل نفسه لأحد، لأن الدافع إلى ذلك الشعور أن الناس قد ينفعوه أو يضروه في رزقه أو في أجله، فمتى علم أن هذه الامور مرتبطة بمشيئة الله وإرداته، عزّت نفسه وهدأت

---

(١) عبدالكريم زيدان، مجموعة بحوث فقهية، ص٢٤٤- ٢٤٦ بتصرف.

واستراحت، فيصبح المسلم عنصراً فعالاً في المجتمع، يعتمد على كسب يده ولا يمدها إلى الآخرين، وعندما ترى هذه الروح في المجتمع يصبح مجتمعاً سعيداً تزكت نفوس أفراده عن كل رذيلة، وترقى- هذه العقيدة - بالمجتمع نحو الاستخلاف المنشود[1].

بل وتسعى لانقاذ البشرية وتحريرها من الخضوع لغير الله، شعارها قول ربعي بن عامر رضي الله عنه- عند كسرى: "خرجنا- أوجئنا- لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد..."[2]، مجسداً بذلك قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون:٨).

رابعاً: الشجاعة والإقدام

الشجاعة خلق كريم وأثر من آثار الإيمان بالقضاء والقدر، "فالمؤمن بقضاء الله وقدره شجاع لا يجبن، إذ هو يعتقد أنه لا يقع له من يسر أو من عسر، وغنى أو فقر، وحياة أو موت إلا ما كتبه الله له، فيقوم بعمله في الحياة خير قيام لا يرهب إلا الله ولا يرجو إلا رحمته ورضوانه"[3]. ممتثلاً قول الله - عز وجل- : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة: ٥١)، وهذا الفهم هو الذي غرسه الرسول- صلى الله عليه وسلم- في أصحابه، وعلمهم إياه، فها هو يعلم ابن عمه عبدالله بن عباس- رضي الله عنهما- تلك العقيدة بقوله- **(واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، واعلم بأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك**

---

(١) انظر: محمد عبدالرزاق الغزاوي، الآثار التربوية للاعتقاد بالأجل والرزق، ص٦٠-٦١.

(٢) انظر: ابن كثير البداية والنهاية، ٣٩/٧.

(٣) محمد أمين المصري، لمحات من وسائل التربية الاسلامية وغاياتها، ص١٧٨-١٧٩.

بشيء لن ينفعوك بشيء إلا قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لـن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف) [1].

حيث جسد الصحابة الكرام تلك العقيدة في حياتهم، وطبقوها على أرض الواقـــع من خلال الثبات في القتال، والعزم على مواصلة الجهاد، "فجاءت ملامح الجهاد تحمـــل اروع الأمثلة على الثبات والصمود أمام الأعداء مهما كانت قوتهم، ومهما كان عددهـــم، حيث أيقنوا أنه لن يصيب الإنسان إلا ما كتب له سواء أكان قاعدا في بيته، أو متقلبـــا في ساحات القتال من معركة إلى معركة، فكيف يجبن وكيف يفر من القتال خوفا مـــن الموت، والموت إذا جاء سيأتيه على أية حال، فأقبلوا على القتال والجهاد في ســبيل الله في ثبات وعزم ويقين. [2]

---

(١) سبق تخريجه ص٨٦.

(٢) انظر عبدالرحمن المحمود، مرجع سابق، ص٢٩٧؛ عمر الأشقر، مرجع سابق، ص١٢٢.

المطلب الخامس

أثر عقيدة القضاء والقدر في الجانب الأخلاقي

تحتل الأخلاق في الإسلام مكانة عظيمة ودرجة سامية، فهي من أهم الأهداف التي جاء بها الإسلام لتحقيقها، فقد جعل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- جلَّ غايته دعوته إكمال البناء الأخلاقي الذي بدأه من سبقه من الرسل الكرام ورسم الطريق لها لكي تسير في الطريق السوي حيث يقول: (**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**)[1] ويقول- سبحانه وتعالى-: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٥١) [2]. من هنا فإن الأخلاق في الإسلام" يدخل في إطارها جميع العلاقات الإنسانية حتى علاقة الإنسان بغيره من الكائنات الأخرى الحية. والسلوك الأخلاقي في نظر الإسلام هو كل سلوك خيّر يقوم به الإنسان بإرادة خيّرة لغاية خيرة. والإنسان الأخلاقي هو الإنسان الخير في حياته الظاهرة والباطنة لنفسه ولغيره على حد سواء. كما أن المبادئ الأخلاقية التي جاء بها الإسلام والتي ينظم بها الحياة الأخلاقية تشمل شتى سلوك الإنسان. لحياته الخاصة ولحياته مع غيره"[3].

" فإذا نظرنا إلى الإسلام وجدنا أنه ربط بين الإيمان والسلوك بوجه عام والسلوك الأخلاقي بوجه خاص ربطاً لا انفصام فيه. ونجد ذلك في نصوص كثيرة يصعب حصرها.

---

(١) رواه الإمام أحمد، المسند، ٢٨١/٢؛ قال الألباني: حديث صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره، سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم ٤٥، ٧٥/١

(٢) محمد عقله، النظام الأخلاقي في الاسلام، ص٢٩ بتصرف.

(٣)مقداد يالجن، دور التربية الأخلاقية الاسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الانسانية، ص١٢/١٣.

ولهذا كان المسلمون الأوائل إذا سمعوا بنزول أمر واجب سارعوا إليه وإذا نزل تحريم أمر انتهوا عنه"[1].

لذلك وجدنا أن الأخلاق الإسلامية تنبع من العقيدة التي يتبناها الفرد فتوجه سلوكه وتضبط تعامله مع ما يحيط به، فالمسلم يتعامل بأخلاقه الفاضلة مع نفسه، وأصحابه وأسرته ومجتمعه، والعالم أجمع.

ويتناول هذا المطلب أهم ما تركته عقيدة القضاء والقدر على الفرد والمجتمع المسلم من خلال القضاء على بعض الأخلاق السيئة على النحو التالي :

أولا: الحسد

الحسد من الرذائل الأخلاقية التي نهى عنها الإسلام، لكونها أحد الأسباب التي تؤدي إلى نشوء الشحناء والخصام والتدابر بين أفراد المجتمع المسلم، فالحاسد ينظر إلى أخيه نظرة حقد وشعور بالغيظ، لأن الله قد أعطى غيره أكثر مما أعطاه، وكأن المحسود قد أخذ نعمة من المفروض أن تكون له، وبذلك يشعر الحاسد أن تصحيح الخطأ، أو رفع الظلم يكون بأن تزول النعمة عن المحسود، أو تؤول إليه، وإن استحال انتقالها إليه فلا أقل من زوالها عن المحسود الذي ليس أهلا لها برأي الحاسد.

من هنا كانت هذه الرذيلة الخلقية السبب في وقوع أول جريمة قتل على وجه الأرض، عندما قتل ابن آدم أخيه حسدا بعد أن تقبل الله من أخيه قربانا ولم يتقبل منه، وكما أراد أخوه يوسف عليه السلام- قتله حسدا منهم له على حب أبيه له، كما ورد ذكره في القرآن[2].

لذلك فالمؤمن بقضاء الله وقدره يبتعد عن رذيلة الحسد التي توغر الصدور، وتبعث على الشرور، لأنه يعلم أن حسد الناس على ما آتاهم الله من فضله سخط على

---

(١) مقداد يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، ص١٨٤.

(٢) انظر: محمد الشريف، مرجع سابق، ص١٥٤، وما بعدها.

المقدور، وتطلع إلى ما لا يمكن الحصول عليه مما قدر لغيره، فيحب للناس ما يحب لنفسه، فإن وصل إلى ما يصيبوا إليه حمد الله وشكره على نعمه، وإن لم يصل إلى شيء من ذلك صبر ولم يحزع، ولم يحقد على غيره مما نال من الفضل ما لم يناله، لأن الله هو الذي يقسم الأرزاق فيعطي ويمنع،وكل ذلك ابتلاء وامتحان منه- سبحانه وتعالى- لخلقه[1].

ثانياً: الكبر

يعد الكبر من أشد الرذائل الأخلاقية التي نهى عنها الإسلام، لأن فيه اعتراضاً على حكمة الله عند خلقه لعباده، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣)

فإرادة الله- سبحانه وتعالى- اقتضت أن يكون المعيار الحقيقي للمفاضلة بين الناس تقوى الله.

فالكبر أن يرى الإنسان نفسه فوق غيره من صفات الكمال، فيحصل فيه نفخة، وهزّة من اعتقاده بهذه الفوقية، فينشأ عن ذلك عجب الإنسان بنفسه، والعجب سبب الكبر، ولكن الكبر يستدعي متكبراً عليه، والعجب مقصور على الإنفراد[2].

من هنا كان هذا الخلق البغيض علامة واضحة من علامات نقص الإسلام، فالتكبر لا يقتصر على التعالي على الناس وازدرائهم، والنظر إليهم على أنهم دون المتكبر، وهو الدافع للكفر، والتمرد على الخالق، وهو أول سبب للتمرد على أوامر الله،

---

(١) انظر: أمين المصري، مرجع سابق، ص ١٧٨.

(٢) انظر: محمد الغزاوي، الأربعين في أصول الدين، مرجع سابق، ١١٤ وما بعدها.

فعندما أمر الله الملائكة ومعهم إبليس أن يسجدوا لآدم، أبى ابليس السجود لآدم طاعة لله، لأنه تكبر على آدم ورأى نفسه خيراً منه، ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٣٤).

لذلك فالمؤمن بالقضاء والقدر يعلم أن الله- سبحانه وتعالى- إذا أعطاه منحه تميزه عن غيره من أقرانه كزيادة في مال أو ولد أو جاه، فعليه أن يحمد الله على ذلك العطاء، لأنه يعلم أن ذلك لا يعني أنه بذلك العطاء أفضل من أخيه المسلم، بل إن ميزان الله في المفاضلة مرجعه للتقوى، وأن عليه التواضع مع الآخرين، لأن الكبرياء من صفات الله وحده، يقول الرسول- صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي يرويه عن ربه: (**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم**)[1].

أما إذا اتصف المسلم بهذه الرذيلة الأخلاقية " فلا يكون محل للقبول لدى الآخرين ولا ينال حبهم ومودتهم بل ينبذونه ويعزفون عن الاختلاط به، نتيجة لما يلمسونه لديه من تكبر وتعالٍ وغطرسه، وبذلك تؤول هذه الرذيلة السيئة لصاحبها مثال الخسران والوبال، فيفشل في أداء دوره الإيجابي البناء كعضو في الجماعة يشترك معها في مصالح واحدة، ويسعى معها إلى تحقيق أهداف مشتركة، ويقدر ظروف أفرادها وقدراتهم وإمكاناتهم، ويقدر كرامتهم الإنسانية، ويحب لهم ما يحب لنفسه من تكريم معنوي، وتقدير أدبي، فالمجتمع الذي تنتشر هذه الرذيلة بين أفراده، تعود عليه بأوخم النتائج، التي تفكك العلاقات بين الناس، وتزرع بينهم الكراهية والبغض، وتحول بينهم وبين اللقاء على دروب التراحم والتعاطف والتكافل"[2].

---

(١) رواه ابن ماجة، السنن، كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر، رقم الحديث ٣٣٦٥، ٢/٤٥٠؛ وقال عنه الألباني حديث صحيح، سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٥٤١، ٢/٦٩ .

(٢) عبد الحميد الزيناتي، مرجع سابق، ص ٧٢٤ بتصرف.

ثالثاً: البخل

يعتبر البخل من الصفات الأخلاقية المذمومة، التي يترك أثراً كبيراً على الفرد والمجتمع على حدٍ سواء، فالبخل يقود صاحبه إلى أمراض خلقية منها ما هو نفسي ومنها ما هو اجتماعي، وهي مهلكة لدين العبد ودنياه.

فالبخيل يتكالب على الكسب المادي وجمع المال كغاية في حد ذاته، ويحرم نفسه وأهله من التمتع الحلال به، ومن هنا حذر الاسلام من البخل لأنه يجعل المرء أسيراً له طيلة حياته دون أن ينتفع به في دنياه وآخرته يقول تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ١٨٠). ويقول أيضاً: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء: ٣٧).

لذلك فالمؤمن بالقدر يعتقد أن المالك والمتصرف في هذا الكون هو الله- سبحانه وتعالى-، "وإنما أطلق على هذا الإنسان مالكاً تجوُّزاً بل إن الله بين أن الإنسان مستخلف في هذا المال إلى أجل مسمى، كما استخلف من قبله فرحلوا وبقيت تبعتهم عليهم، يقول تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد:٧).

وهذه الحقيقة تشعر الإنسان بأنه ليس مطلق التصرف فيما يقع تحت يده بل هو مرهون بأمر المالك الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى[١].

---

(١) انظر محمد الغزاوي، مرجع سابق، ص ٧٧- ٧٨.

وهذا التصور يدعوه إلى:

١- أن هذا المال نعمة من الله تفضل به عليه، فيقدم على تسخيره في الجوانب المشروعة، كالإنفاق على الأبناء، والإنفاق في سبيل الله، بل أن الإنفاق على الأهل هو سبيل الله واعظم أجرا، فعن ثوبان- رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: (**أفضل الدينار دينار ينفقه الرجل على عياله، ودينار أنفقته الرجل على دابته في سبيل الله، ودينار أنفقته الرجل على أصحابه في سبيل الله**)[١]. وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله عليه السلام-:(**دينار أنفقه في سبيل الله ودينار أنفقه في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجر الذي أنفقته على أهلك**)[٢].

٢-أن المؤمن بالقدر يأخذ بعين الاعتبار عثرات وتقلبات الزمن، فيقدم على توفير جزء من هذا المال لهذا الوقت، إيمانا منه بضرورة الأخذ بالأسباب قبل وقوعها وحدوثها على أرض الواقع، كونها غيب لا يعلمه إلا الله، فهو في إقدامه على ذلك الأمر لا يعني انه تخلق بخلق البخل، وهذا ما دعى إليه الرسول- صلى الله عليه وسلم- بقوله:(**إن أحدكم يأتيه الله برزق عشرة أيام في يوم، فإن هو حبس عاش تسعة أيام بخير، وإن هو وسع وأسرف، قتر عليه تسعة أيام**)[٣].

٣-أما الفرد الذي لا يؤمن بالقدر على الوجه الصحيح ، و يتخلق بهذه الرذيلة من الأخلاق

---

(١) رواه الترمذي، السنن؛ كتاب البر والصلة، باب ما جاء في النفقة على الأهل، رقم الحديث ٢٠٣٢، ٢٣٢/٣، وقال حديث حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم، الصحيح؛ كتاب الزكاة، باب الإبتداء في النفقة بالنفس ثم أهله ثم القرابة، رقم الحديث ٩٩٥، ٨٢/٣.

(٣) رواه الديلمي، مرجع سابق، عن أنس بن مالك، رقم ٨٤٩، ٢٢٢/١؛ قال الألباني ضعيف، ضعيف الجامع الصغير، ٢٥/١.

- البخل- يقبل على الاعتقاد و الإقبال على عدة أمور[1] ، تقوده إلى أمراض خلقية، منها ما هو نفسي، و منها ما هو اجتماعي:

أولا: في الجانب النفسي

أن هذا الفرد البخيل ومن خلال خوفه على ماله من النقصان أو الضياع يقدم على كنز ذلك المال، حتى أنه يبخل على نفسه في شراء الضروريات فضلا عمن له عليه حق من أهله وأبناءه. فينعكس ذلك السلوك على مجموعة منى الأخلاق المذمومة، والتي من أهمها الشح والحرص والطمع والجبن والكذب وطول الأمل وسوء الظن بالله وإعجابه بنفسه وعبوديته للمال، وقطيعته الأرحام والكبرياء.

ثانيا: في الجانب الاجتماعي

١-نسيان البخل لربه الذي أنعم عليه، فيرى نفسه، وأنه حصل كل خير بجده واجتهاده، فلا فضل لأحد عليه، فينعكس ذلك على سلوكه في معاملته مع الآخرين.

٢-أن حب البخيل للمال، يملي عليه التفريط في كثير من العبادات المأمور بها شرعا، كالزكاة والصدقة وصلة الرحم وسائر أعمال البر.

٣-أن كنز البخيل للمال، يؤدي إلى تجميد أموال المجتمع، وعدم الاستفادة منها، فينعكس ذلك على الاقتصاد بارتفاع أسعار السلع وقلة الخدمات.

٤-بغض الناس للبخيل وعدم محبتهم له، فلا يرغبون في معاملته أو مساعدته أو مجالسته، فتضعف الروابط الاجتماعية بين الناس.

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر: محمد الغزاوي مرجع سابق، ص٧٧-٧٩.

المطلب السادس

أثر عقيدة القضاء والقدر في الجانب الاجتماعي

اعتنى الإسلام ببناء المجتمع المسلم اعتنائه ببناء الفرد المسلم، الذي هو أساس هذا المجتمع، فكما عمل الإسلام على تربية الفرد كعضو صالح في جماعة صالحة، ووجهه إلى إقامة العلاقات الإيجابية البناءة مع الآخرين وكلفه بالقيام بواجباته الدينية والاجتماعية تجاههم، وحثه على تحمل مسؤولياته في الحفاظ على كيان مجتمعه وحمايته من كل ما يتهدده من أخطار معنوية ومادية، منطلقا في ذلك السلوك من عقيدته التي يؤمن بها.

فكذلك تعتبر العقيدة هي الأساس الأول لبناء المجتمع وهي أساس الدولة وقاعدة المجتمع، ومصدر الحضارة، وهي الموجه الرئيس لكل ما يجري في الدولة والمجتمع من الأعمال والاتجاهات والإجراءات، وهنا لابد من التذكير بأن بناء المجتمع على هدى العقيدة الإسلامية هو المهمة الرئيسية العامة للمسلمين، ولن تكتمل إسلامية المجتمع إلا إذا تحقق ذلك الأساس في المجتمع[1]، وهذا أول ما أقدم عليه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بعد هجرته إلى المدينة، عندما أرسى الدعائم الأساسية لقيام المجتمع المسلم، من خلال المؤاخاه بين المهاجرين والأنصار، والإصلاح بين الأوس والخزرج.

ويتناول هذا المطلب أهم ما تركته عقيدة القضاء والقدر على الفرد والمجتمع في هذا الجانب من خلال:

---

(١) انظر: عز الدين الخطيب التميمي، الدفاع الاجتماعي في مرآة الإسلام، ص٤٢- ٤٤.

أولاً: السلوك المستقيم مع الآخرين

الإنسان اجتماعي بفطرته وطبعه فلا بد من علاقات مع الآخرين وتصرفات وأفعال معهم،وهو إما ينهج في هذه العلاقات منهج الصدق والاستقامة والوضوح ونحوها، وإما أن ينهج في سلوكه معهم منهج النفاق والكذب والمداهنة ونحوها، وإما أن يقيمها على اختلاط من المنهجين وهذا يرجع إلى نظرة الفرد إلى غيره من جهة قدرته على النفع والضر، فإذا اعتقد أن الغير يملك القدرة الكاملة على النفع والضر، فقد يسلك معه مسلك النفاق والمداهنة، لظنه أن هذا المسلك يأتيه بالنفع ويدفع عنه الضر، وإذا اعتقد أن الغير لا يملك في الحقيقة مثل هذه القدرة- وهو حال المؤمن بالقضاء والقدر- وإنما هو مجرد سبب وواسطة ومجرى لوصول ذلك إليه حسبما قدره الله- العليم الحكيم- الذي بيده وحده الضر والنفع ويستحضر في ذهنه قول الرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم-(**وأعلم أن الأمة لو اجتمعوا على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك بشيء إلا ما كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**)[1]. فإن مثل هذا الاعتقاد يورث حتماً وقطعاً سلوك المسلك المستقيم القائم على الصدق والوضوح والاستقامة[2].فيؤدي هذا السلوك إلى قوة ترابط ولحمة المجتمع المسلم، والقضاء على الأمراض الأخلاقية والاجتماعية، التي تفتك بالمجتمع. كما اتضح في الجانب الأخلاقي- في حال انتشارها نتيجة لسوء الفهم التكافل الاجتماعي.

ثانياً: التكافل الاجتماعي

لا شك أن الفرد لا يحيا بمعزل عن الآخرين، ولا تستقيم له الحياة إلا داخل جماعة يرتبط أفرادها بروابط ومصالح وأهداف مشتركة تجعلهم يتظافرون، كل حسب

---

(١) سبق تخريجه ص٨٦،٨٩.

(٢) عبد الكريم زيدان، مرجع سابق، ص ٢٣٥ بتصرف.

قدرته واستطاعته على تحقيقها، مع حرصهم على حماية كيـــان جماعتـــهم، وصـــون تماسكها لأن في تقويضها واضمحلالها ذهاب ريحهم وضياع ودمار حياتهم[1].

من أجل ذلك جاء الإسلام ليلبي الحاجات التي تمكّن أفراد المجتمع من المحافظة على الوحدة والتلاحم، وغرس- الإسلام- هذه العوامل ونماها فـــي الفـــرد والمجتمـــع المسلم على حد سواء، من خلال العقيدة الصحيحة والتشريعات الإســـــلامية الأخـــرى، وكان لعقيدة القضاء والقدر دور بارز في هذا التماسك والتكافل الاجتماعي، لأن المؤمن بالقضاء والقدر يعلم أن الله- سبحانه وتعالى- اقتضت قدرته إلى وجود فـــوارق بيـــن أفراد المجتمـــع المســـلم، قـــال تعـــالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ (الأنعام: ١٦٥).

وأن هذه الفوارق ترجع إلى أن المجتمع يجب ان يكون متكاملاً متعاوناً، يكمـــل بعضه بعضاً، فلا غنى للغني عن الفقير، ولا غنى للعالم عن الجاهل، بحيث يســـــتطيع واحد منهم أن يعمل وحده اوتى إذا لم يتعاون مع الآخرين[2]، ويؤدي ذلك إلى تمكين كل ذي قوة من أن يعمل بمقدار طاقته، بحيث تهيأ الفرص المناسبة لكي تظهر كل القـــوى وتوضع كل قوة في مرتبتها وأن توجد الكفالة للعاجزين عن العمل، لكي يعيشوا وينـــالوا حظهم في الحياة، ليكونوا قوة في الجماعة إن كانوا صغاراً، وليأمنوا من الجوع والعرى إن كانوا كباراً، لا يرجى أن يزول سبب عجزهم"[3].فيؤدي ذلك إلى القضاء على جميع المظاهر التي تؤدي إلى النيل من عضد ولحمة وتماسك المجتمع المسلم، وبذلك ينشـــأ مجتمع متكافل يستطيع الوقوف في وجه الأعباء والمخاطر التي تحدق به من أعداءه.

---

(١) عبد الحميد الزناتي، مرجع سابق، ص ٨٤٥-٨٤٦، بتصرف.

(٢) لمزيد من التفصيل، انظر: عبد الحميد الهاشمي، الرسول العربي، المربي، ص ١٦٤- ١٦٥.

(٣) محمد أبو زهرة، المجتمع الانساني في ظل الاسلام، ص ٣٩٧.

الخاتمة

النتائج وأهم التوصيات

النتائج

١. أن مصدر عقيدة القضاء والقدر على الوجه الصحيح يرجع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، الذين تذخر بهما كثرة الأدلة، التي أصبحت فيما بعد اعتقاد أهل السنة من السلف الصالح، وأن بذور الشقاق والخلاق لم تنشأ إلا بعد ظهور بعض الفرق كالجهمية والقدرية والمعتزلة وغيرها من الفرق الأخرى، التي تأثر أصحابها بأهوائهم، وبالمعتقدات والفلسفات الخارجة عن الإسلام.

٢. أن علماء السلف من أهل السنة، وعلى رأسهم الصحابة والتابعين وكبار علماء المسلمين كان لهم دور كبير في التصدي للأفكار و المعتقدات التي تتعارض مع عقيدة القضاء والقدر على الوجه الصحيح، مما أدى هذا التصدي إلى القضاء على تلك الأفكار والحد من انتشارها، واندثار معظم الفرق المخالفة لعقيدة القضاء والقدر على الوجه الصحيح.

٣. أن عقيدة القضاء والقدر لها انعكاس كبير للمؤمن بها على الوجه الصحيح، في العلاقة ما بينه وبين خالقه، والعلاقة ما بينه وبين أفراد مجتمعه، وهي- عقيدة القضاء والقدر- التي تبلور تصوره حول علاقته بالكون وما يتعلق به، وبالحياة وما يتعلق بها من أمور دينية ودنيوية.

٤. أن لهذه العقيدة دورا بارزا في تحديد وصقل سلوك الفرد المسلم عن طريق القيم التي توجدها هذه العقيدة في تفكير واعتقاد المؤمن بها، وانعكاس ذلك على الجوانب المختلفة، كالجانب الروحي والعقلي والنفسي...

٥. أن عدم الإيمان بهذه العقيدة على الوجه الصحيح يترك آثارا سلبية واضحة على الفرد والمجتمع المسلم، ويؤدي إلى انعكاس ذلك على جوانب الحياة المختلفة، وإصابة الأمة بالضعف والوهن، وجعلها عرضة للوقوع تحت سلطة التبعية للآخرين، بفعل التفكك والصراع القائم في المجتمع المسلم، الناتج بفعل الأمراض النفسية والاجتماعية والأخلاقية والإقتصادية وغيرها، التي تنتج عن الانحراف في التصور الصحيح لهذه العقيدة.

التوصيات

١. أن على القائمين بالمسؤولية في مجال الوعظ والإرشاد في وزارات الأوقـــاف، وأيضا من العلماء والخطباء والدعاة دورا كبيرا يتحملونه في بيان وتوضيح عقيـــدة القضاء والقدر على الوجه الصحيح، لافراد المجتمع، وضرورة التنبيه على بعـــض المظاهر والسلوكيات السائدة في المجتمع، بفعل التـــأكيد علـــى غـــرس المفـــاهيم والمعتقدات التي تعكسها هذه العقيدة على الوجه الصحيح.

٢. ضرورة أخذ القائمين على وضع وتخطيط العملية التربوية والمناهج أهمية غرس العقائد بشكل عام، وعقيدة القضاء والقدر بشكل خاص، في المناهج التربوية لغـوس ما تتركه هذه العقيدة من أثر على سلوك الفرد وانعكاس ذلك علـــى المجتمـــع فـــي المستقبل.

٣. ضرورة عمل الباحثين من طلبة الدراسات العليـــا بالقيـــام وإجـــراء دراســـات مستفيضه في هذه العقيدة- القضاء والقدر- لما لها من تأثير في الجوانب المختلفـــة، كتأثيرها على الجانب الاجتماعي والأخلاقي والاقتصادي وغيرها من الآثار التـــي تتركها في الجوانب الأخرى.

٤. ضرورة قيام بعض الأبحاث والدراسات التحليلية والميدانية الهادفة إلى التعـــرف إلى مدى فهم أو جهل أفراد وطبقات المجتمع المختلفة لهذه العقيدة وإيجاد الحلـــول المناسبة التي تساعد في القضاء على سوء الفهم والجهل.

٥. ضرورة العمل على طبع ونشر الكتب والدراسات التي تناولت عقيـــدة القضـــاء والقدر بشكل سهل وصحيح، داخل المجتمع المسلم من أجل إيصال فهم هذه العقيـــدة لدى الأفراد المجتمع، والتوصل إلى الحلول والأجوبة الشـــافية علـــى كثـــير مـــن التساؤلات التي تدور في خلق وفكر أفراد المجتمع، والقضاء على المفاهيم والعادات و التقاليد الخاطئة الناتجة من سوء فهم هذه العقيدة.

فهرس الآيات

الرقم المتسلسل	السورة	الآيـــــــه	رقمها	الصفحة
١.	البقرة	وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم	٣٤	٩٣
٢.	البقرة	كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم	١٥١	٩٠
٣.	البقرة	وبشر الصابرين الذين	١٥٥-١٥٧	٨٥
٤.	البقرة	الذين إذا أصابتهم مصيبة	١٥٦	٨٧
٥.	البقرة	وإذا قيل لهم اتبعوا	١٧٠	٧١-٧٣
٦.	البقرة	فإذا قضيتم مناسككم	٢٠٠	١٦
٧.	البقرة	أم حسبتم أن تدخلوا الجنة	٢١٤	٨٦
٨.	البقرة	والله يعلم وأنتم لا تعلمون	٢١٦	٨٣
٩.	البقرة	إن الله اصطفاه عليكم	٢٤٧	٧٨
١٠.	البقرة	ولو شاء الله ما اقتتلوا	٢٥٣	٣٣
١١.	آل عمران	وما كان لنفس أن تموت إلا	١٤٥	٦٤
١٢.	آل عمران	ولا تحسبن الذين يبخلون بما	١٨٠	٩٤
١٣.	النساء	الذين يبخلون ويأمرون	٣٧	٩٤
١٤.	المائدة	ولو شاء الله لجعلكم أمة	٤٨	٣٢-٣٣
١٥.	الأنعام	ولو شاء الله لجمعهم على الهدى	٣٥	٣٣
١٦.	الأنعام	ما فرطنا في الكتاب من شيء	٣٨	٣١

الرقم المتسلسل	السورة	الآيـــــــه	رقمها	الصفحة
.١٧	الأنعام	وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو	٥٩	٢٨
.١٨	الأنعام	وهو الذي جعلكم خلائف الأرض	١٦٥	٩٩
.١٩	الأعراف	قل لا أملك لنفسي نفعا	١٨٨	٤٣
.٢٠	التوبة	قل لن يصيبنا إلا ما كتب	٥١	٦٥-٨٨
.٢١	التوبة	وقل اعملوا فسيرى الله	١٥٠	٦٨
.٢٢	هود	قل إنما يأتيكم به الله إن	٣٢-٣٣	٣٢
.٢٣	الحجر	وقضينا إليه ذلك الأمر	٦٦	١٥
.٢٤	الإسراء	وقضينا إلى بني إسرائيل	٤	١٦
.٢٥	الإسراء	وقضى ربك ألا تعبدوا إلا	٢٣	١٥
.٢٦	الإسراء	ولا تقف ما ليس لك به	٣٦	٧٣-٧٤
.٢٧	الكهف	ولا تقولن لشيء إني فاعل	٢٣-٢٤	٣٢
.٢٨	الكهف	ستجدني إن شاء الله صابرا	٦٩	٣٢
.٢٩	طه	فلبثت سنين في أهل مدين	٤٠	٢٩
.٣٠	طه	فاقض ما أنت قاض	٧٢	١٥
.٣١	طه	وعنت الوجوه للحي القيوم	١١١	٦٦
.٣٢	طه	وقل رب زدني علما	١١٤	٧٦
.٣٣	الحج	إن الله يدافع عن الذين آمنوا	٣٨	١٧-٦٤

٣٤.	الحج	ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء	٧٠	٣١
٣٥.	الفرقان	وخلق كل شيء فقدره تقديرا	٢	١٨
٣٦.	القصص	فوكزه موسى فقضى عليه	١٥	١٦
٣٧.	القصص	إن خير من استأجرت	٢٦	٧٨
٣٨.	القصص	فلما قضى موسى الأجل	٢٩	١٥
٣٩.	العنكبوت	ألم * أحسب الناس	١-٣	٨٦
٤٠.	الروم	بل اتبع الذين ظلموا أنفسهم أهوائهم	٢٩	٧٠
٤١.	الروم	فاصبر إن وعد الله حق	٦٠	٨٦
٤٢.	لقمان	إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث	٣٤	٢٩
٤٣.	الأحزاب	وما كان لمؤمن ولا مؤمنة	٣٦	٦٣
٤٤.	الأحزاب	سنة الله في الذين خلوا من قبل	٣٨	٢٦
٤٥.	فاطر	إنما يخشى الله من عباده العلماء	٢٨	٧٥
٤٦.	يس	وهو الخلاق العليم	٨١	٣٥
٤٧.	الزمر	إنما يوفى الصابرون أجرهم	١٠	٨٧
٤٨.	الزمر	الله خالق كل شيء	٦٢	٣٥
٤٩.	غافر	وقال ربكم ادعوني أستجب لكم	٦٠	٦٤
٥٠.	غافر	ذلكم الله ربكم خالق كل شيء	٦٢	١٥-٣٥
٥١.	فصلت	فقضاهن سبع سموات في يومين	١٢	١٥
٥٢.	فصلت	سنريهم آياتنا في الآفاق	٥٣	٧٢

الرقم المتسلسل	السورة	الآيـــــــه	رقمها	الصفحة
.٥٣	الزخرف	إنا وجدنا آباءنا على أمة	٢٣	٧٣
.٥٤	محمد	أفلا يتدبرون القرآن	٢٤	٧٥
.٥٥	الحجرات	يا أيها الناس إنا خلقناكم	١٣	٩٢
.٥٦	الذاريات	وفي السماء رزقكم وما توعدون	٢٢-٢٣	٦٨
.٥٧	الذاريات	وما خلقت الجن والإنس إلا	٥٦	٧٠-٧٨
.٥٨	الذاريات	إن ربك هو الرزاق ذو القوة	٥٨	٦٤
.٥٩	النجم	إن يتبعون إلا الظن وما تهوى	٢٣	٧٣
.٦٠	النجم	إن يتبعون إلا الظن وإن الظن	٢٨	٧٣
.٦١	القمر	وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى	١٢	١٧
.٦٢	القمر	يوم يسجدون في النار على وجوههم	٤٨-٤٩	٣٧
.٦٣	القمر	إنا كل شيء خلقناه بقدر	٤٩	٢٦
.٦٤	الحديد	وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه	٧	٩٤
.٦٥	الحديد	لكي لا تأسوا على ما فاتكم	٢٣	٨٤
.٦٦	الحشر	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله	١٨	٦٣
.٦٧	المنافقون	ولله العزة ولرسوله	٨	٨٨
.٦٨	التغابن	ما أصاب من مصيبة	١١	٨٦
.٦٩	الطلاق	لتعلموا أن الله على كل شيء قدير	١٢	٢٩

الرقم المتسلسل	السورة	الآيـــــــه	رقمها	الصفحة
.٧٠	المعارج	إن الإنسان خلق هلوعاً	١٩-٢١	٨٤
.٧١	النازعات	وأما من خاف مقام ربه ونهى	٤٠-٤١	٧١
.٧٢	الفجر	وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه	١٦	١٧
.٧٣	الليل	فأما مـــن أعطـــى واتقـــى وصـــدق بالحسنى	٥-١٠	٣٠

الأحاديث

طرف الحديث	الصفحه
١- (أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم؟.....)	٣٦
٢-(أبهذا أمرتم أو لهذا خلقتم.....)	٣٧
٣-(إذا ذكر أصحابي فأمسكوا.....)	٢١
٤-(أرأيت أدوية نتداوى بها.....)	٧٩
٥-(أعلم أهل الجنة من أهل النار.....)	٢٩
٦-(أفراً من قدر الله.....)	٣٩
٧-(أفضل الدينار دينار ينفقه الرجل.....)	٩٥
٨-(إن أحدكم يأتيه الله برزق.....)	٩٥
٩-(أن تؤمن بالله وملائكته.....)	٢٦
١٠- (إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن.....)	٣٣
١١- (إن هذا الوجع أو السقم رجز.....)	٨١
١٢- (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.....)	٩٠
١٣- (احرص على ما ينفعك ولا تعجز.....)	٧٦
١٤- (الكبرياء ردائي.....)	٩٣
١٥- (تفكروا في آلاء الله.....)	٧٤
١٦- (ثلاث من اصل الإيمان.....)	٢٧
١٧- (ثم يبعث الله ملك فيؤمر بأربع.....)	٦٥
١٨- (جاء مشركوا قريش إلى الرسول، يخاصمون في القدر.....)	٣٧
١٩- (دينار أنفقته في سبيل الله.....)	٩٥

٢٠- (صنفان من أمتي.....) ٣٨
٢١- (عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه.....) ٢١
٢٢- (عودوا قلوبكم التفكر.....) ٧٤-٧٥
٢٣- (فإن غم عليكم فاقدروا له.....) ١٧
٢٤- (فاقدره لي ويسره لي.....) ١٧
٢٥- (قال: فأخبرني عن الايمان.....) ٢٦
٢٦- (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات.....) ٣١
٢٧- (لا تجالسوا أهل القدر.....) ٣٨
٢٨- (لا تزول قدما عبد حتى يسأل.....) ٧٩
٢٩- (لا تكونوا إمعة.....) ٧١
٣٠- (لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع.....) ٢٧
٣١- (لا يرد القضاء إلا الدعاء.....) ٦٤
٣٢- (لا يدخل الجنة عاق.....) ٢٧
٣٣- (لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت.....) ٣٤
٣٤- (لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر.....) ٣٨
٣٥- (ما أنزل الله داء.....) ٧٩
٣٦- (ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها.....) ٣٠
٣٧- (مفاتيح الغيب خمس.....) ٢٨
٣٨- (واعلم أن الأمة .....) ٨٦-٨٩-٩٨

الأعـــلام

الاسم	الصفحه
١.أبو الحسن الأشعري.	٢٠
٢.أبو يعلى.	٤٣
٣.ابن أبي العز الحنفي.	٥٨
٤.ابن القيم.	٣٣
٥.ابن تيمية.	٤٤
٦. الجهم بن صفوان	٥٥
٧.الحسن البصري.	٤٠
٨.المأمون.	٤١
٩.عبد الحبار الهمزاني.	٥٧
١٠. عبد القاهر البغدادي.	٤٠
١١. عمرو بن عبيد.	٥٣
١٢. معبد الجهني.	٥٣
١٣. واصل بن عطاء.	٥٣

قائمة المصادر والمراجع

١. أبو داوود- سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داوود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار احياء التراث العربي.

٢. الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحق، **الإبانة عن أصول الديانة**، تحقيق: حسن، فوقية محمود ، ط:١، دار الأنصار- القاهرة، ١٩٧٧م.

٣. الأشقر ، عمر سليمان، **نحو ثقافة إسلامية أصيلة**، ط:٧، دار النفائس- عمان، ١٩٩٩م.

٤. _____، **القضاء والقدر**، ط٣، دار النفائس- عمان، ١٩٩١م.

٥. الأصفهاني، الراغب، **مفردات ألفاظ القرآن الكريم**، تحقيق: نديم مرعشلي- دار الفكر- بيروت، ١٩٧٢م.

٦. الألباني، **صحيح الجامع الصغير**، ط:١، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٩٨٨م.

٧. _____، **ضعيف الجامع الصغير**، أشرف على طبعه زهير الشاويش، ط:٣، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٩٩٠م.

٨. _____، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، أشرف على طبعه زهير الشاويش ط:٣، المكتب الاسلامي- بيروت، ١٩٨٣م.

٩. الإلكائي،أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري الرازي، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة واجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم**، تحقيق، أحمد سعيد حمدان، دار طيبة، السعودية.

١٠. أيوب ، حسن، **مع الله في صفاته وأسمائه الحسنى**، ط:٤، دار القلم- الكويت، ١٩٧٤م.

١١. _____، **تبسيط العقائد الاسلامية**، ط:٥، دار الندوة الجديدة- بيروت، ١٩٩٣م.

١٢. ابن الأثير،مجد الدين أبو السادات المبارك بن محمد، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: محمد محمود الطناجي، ط:١، دار احياء الكتب العربية- القاهرة، ١٩٦٣م.

١٣. ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، تحقيق: السيد محمد السيد، وسعيد محمد، ط:١، دار الحديث- القاهرة، ١٩٩٤م.

١٤. _____، **مدارج السالكين**، تحقيق محمد حامد الفقي- دار الكتاب العربي- بيروت، ١٩٧٣م.

١٥. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، **الفتاوى الكبرى**، تحقيق وتعليق: محمد عبدالقادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا، ط:١، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٨٧م.

١٦. _____، **مجموع الفتاوي**، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط:١، مطابع الرياض، ١٩٧٨م.

١٧. ابن جنبل، أحمد، **المسند**، مع حاشية منتخب كنز العمال في سنن الأفعال والأقوال، للمتقي، ط: ١، دار الفكر- بيروت، ١٩٨٣م.

١٨. ابن حجر، احمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر وتوزيع: رئاسة إدارة البحوث العلمية- السعودية.

١٩. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط:١، دار الجيل- بيروت، ١٩٩١م.

٢٠. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **البداية و النهاية** ط:١، مكتبة المعارف- بيروت، ١٩٦٦م.

٢١. _____، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق عبد العزيز غنيم، محمد أحمد عاشور ومحمد ابراهيم البنا، طبعة الشعب، القاهرة.

٢٢. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية- بيروت.

٢٣. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر- بيروت، ١٩٧٠م.

٢٤. البغدادي، عبد القاهر، **أصول الدين**، ط:٢، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٨٠م.

٢٥. _____، **الفرق بين الفرق**، دار المعرفة- بيروت، ١٩٨٠م.

٢٦. بكر، عبد الجواد، **منهج التربية الاسلامية في الحديث الشريف**، ط:١، دار الفكر العربي- القاهرة، ١٩٨٣م.

٢٧. البوطي، محمد سعيد رمضان، الإنسان مسيَّر أم مخيَّر، ط:١، دار الفكر- دمشق، ١٩٩٧م.

٢٨. _____، **العقيدة الاسلامية والفكر المعاصر**، ط:١، جامعة دمشق - دمشق، ١٩٨٢م.

٢٩. التبريزي، محمد بن عبدالله الخطيب، **مشكاة المصابيح**، ط:٣، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت، ١٩٨٥م.

٣٠. الترمذي، أبو عيسى بن سورة، **سنن الترمذي(الجامع الصحيح)**، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان،ط: ٣، دار الفكر- بيروت، ١٩٧٨م.

٣١. التميمي، عز الدين الخطيب، **الدفاع الاجتماعي في مـــرآة الإســلام**، ط:١، جمعيــة الدراسات والبحوث الاسلامية- عمان، ١٩٨٢م.

٣٢. _____، عز الدين، بدر إسماعيل سمرين، **نظرات فـــي التربيــة الاســلامية**، ط:١، دار البشير- عمان، ١٩٨٥م.

٣٣. الجزائري، أبو بكر، **عقيدة التوحيد فـــي القــرآن الكريــم**، ط٢، دار ابــن تيميــة- الرياض، ١٩٩٢م.

٣٤. الجليل، عبد العزيز بن ناصر، **وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريـسم**، - ط:١، دار طيبة- الرياض، ١٩٩٧م.

٣٥. الجوهري، اسماعيل بن حماد، **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)**، تحقيق: أحمـــد عبد الرزاق غفار، ط:٣، دار العلم للملايين- بيروت- ط، ١٩٨٤م.

٣٦. الحمد، محمد بن ابراهيــم، **الإيمـــان بالقضـساء والقــدر**،ط: ٣، دار ابــن خريمــة- الرياض، ١٩٩٨م.

٣٧. الحنفي، ابن أبي علي بن محمد، **شرح العقيدة الطحاوية**، تخريج الأحاديث: الألبــاني، ط٦، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م.

٣٨. خان، محمد صديـــق، **فتـــح البيـــان فـــي مقـــاصد القـــرآن**، مطبعـــة العاصمـــة- القاهرة.

٣٩. الخلف، سعود بن عبد العزيز، **القاضي أبو يعلى وكتابه(مســـائل الايمـــان دراســةً وتحقيقاً)**، ط: ١، دار العاصمة- الرياض، ١٩٩٠م.

٤٠. الدسوقي، فاروق، **القضاء والقدر في الإسلام**، ط:٢، المكتب الإســـلامي- بـــيروت، مكتبة الخاني- الرياض، ١٩٨٦م.

٤١. الديلمي، أبو شجاع شيرويه بن شهردار، **الفردوس بمأثور الخطاب**، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، ط:١، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٨٦م.

٤٢. الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار ليبيا للنشر والتوزيع- بنغازي، ١٩٦٦م.

٤٣. الزركلي، خير الدين،**الأعلام** ، ط:٣.

٤٤. الزنتاني، عبد الحميد الصيد، **أسس التربية الاسلامية في السنة النبوية**، ط:١، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٤م.

٤٥. زيدان، عبد الكريم، **مجموعة بحوث فقهية**، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٨٦م.

٤٦. السائح، عبد الحميد، **عقيدة المسلم وما يتصل بها**، ط:٢، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية- عمان، ١٩٨٣م.

٤٧. سابق، سيد، **العقائد الاسلامية**، ط:١، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٩٨٠م.

٤٨. السفاريني، محمد بن أحمد، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية**، ط:٢، المكتب الإسلامي- بيروت، مكتبة أسامة- الرياض، ١٩٨٥م.

٤٩. السلمان، عبد العزيز المحمد، **الأسئلة والأجوبة على العقيدة الوسطية**، ط:٥، ١٩٧٤م.

٥٠. الشريف، محمد كمال، **سكينة الايمان**، ط:١، دار ابن كثير- دمشق، ١٩٩٦م.

٥١. الشهرستاني، أبو الفتح محمد عبد الكريم، **الملل والنحل**، دار المعرفة- بيروت، ١٩٨٠م.

٥٢. طبارة- عفيف عبد الفتاح، **روح الدين الاسلامي**،ط:٧، دار العلم للملايين- بيروت، ١٩٦٦م.

٥٣. الطبراني، سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي،ط:٢، وزرة الأوقاف والشؤون الدينية- بغداد، ١٩٨٣م.

٥٤. الطبري، محمد بن جرير، **تفسير الطبري(جامع البيان عن تأويل القرآن الكريم)**، ط:٣، الباب الحلبي- القاهرة، ١٩٦٨م.

٥٥. عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ط:٢، دار الفكر- بيروت، ١٩٨١م.

٥٦. عبد العال، حسن، **مقدمة في فلسفة التربية الاسلامية**، ط:٥، دار عالم الكتب- الرياض، ١٩٨٥م.

٥٧. عثمان، عبد الكريم، **شرح الأصول الخمسة (عبدالجبار الهمذاني)**، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، مكتبة وهبه- القاهرة، ١٩٦٥م.

٥٨. ـــــ، عبد الكريم، **قاضي القضاه عبد الجبار الهمذاني**، دار الكتب العربية، بيروت.

٥٩. العثيمين ، محمد الصالح، **شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية**، ط:٢، دار ابن الجوزي- الرياض، ١٩٩٥.

٦٠. العجلوني، إسماعيل بن محمد، **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث عن ألسنة الناس**، ط:١، مؤسسة مناهل العرفان- بيروت، ١٩٩٠م.

٦١. العلي، محمد تيسير، **الصلة بالله وأثرها في تربية النفس**، ط:١، مؤسسة الرسالة- بيروت، دار البشير- عمان- ١٩٩٧م.

٦٢. عميرة، عبد الرحمن، **منهج القرآن في تربية الرجال**، ط:١، دار الجيل- بيروت، ١٩٩١م.

٦٣. العيني، البدر، **عمدة القارئ شرح صحيح البخاري**، ط:١، الباب الحلبي- القاهرة، ١٩٧٢م.

٦٤. غراب، أحمد عبد الحميد، **الشخصية الانسانية في ضوء القرآن الكريم**، الهيئة المصرية للكتاب- القاهرة، ١٩٨٥م.

٦٥. الغزالي، محمد محمد، **إحياء علوم الدين**، دار احياء الكتب العربية- القاهرة.

٦٦. _____، **الأربعين في أصول الدين**، ط:١، دار الجيل- بيروت، ١٩٨٨م.

٦٧. **الغزالي، محمد، عقيدة المسلم**، دار الكتب الحديثة- القاهرة، ١٩٦٥م.

٦٨. الغزاوي، محمد عبد الرزاق، **الآثار التربوية للإعتقاد بالأجل والرزق**، (كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، ماجستير التربية في الاسلام، رسالة ماجستير خير منشورة، جامعة اليرموك.) ١٩٩٨م.

٦٩. فريد، أحمد، **مواقف إيمانية**، ط:١، دار طيبة- الرياض، ١٩٩٨م.

٧٠. الفيروز أبادي،مجد الدين محمد بن يعقوب، **ترتيب القاموس المحيط**، ط:١، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٩٧٩م.

٧١. _____، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، المكتبة العلمية- بيروت، ١٩٨٠م.

٧٢. القرضاوي، يوسف، **التوكل**، ط:١، دار الفرقان- عمان ١٩٩٦م.

٧٣. القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن الكريم**، ط:١، مؤسسة مناهل العرفان- بيروت، ١٩٩٠م.

٩٥. هراس، محمد خليل، **شرح العقيدة الوسطية**، ط:٨، الجامعة الإسلامية، مركز شؤون الدعوة- المدينة المنورة، ١٩٨٠م.

٩٦. الهيثمي، نور الدين علي بكر، **مجمع الزوائد منبع الفوائد**، ط:٢، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٩٨٢م.

٩٧. يالجن، **دور التربية الأخلاقية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الانسانية**، ط:١، دار الشروق- بيروت، ١٩٨٣م.

٩٨. ـــــــ، **التربية الأخلاقية الإسلامية**، ط:١، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٩٧٧م.

٩٩. يكن، فتحي، **التربية الوقائية في الاسلام**، ط:١،دار الرسالة- بيروت، ١٩٨٩م.

Finally, it dealt with the topic and what we received from our Prophet and his followers as well as what some Muslim scholars said.

The second Chapter dealt with the educational effects of believing in Qada' and Qadar in the Islamic society, beginning with the most important points of disagreement in it. Then it showed the negative effects of this disagreement. Finally, it showed the most important educational effects of Qada' and Qadar on the individual and the society such as spiritual, mental and moral aspects.

The study concluded with the findings, the most significant of which is finding out that the belief in Qada, and Qadar in its right conception should be derived from Quran and and Sunneh. It highly affects the behaviour of those beleiving in it through their relationship with Allah and when dealing with the community members and their environment and the effect of these on the various domains of life.

The study aslo included recommendations such as asking leaders of the educational process to take into consideration the importance of instilling the belief of Qada' and Qadar in the learners through curricula as this affects individual behavior and is reflected in the community.

The study aslo recommended that postgraduates conduct studies that deal with the effect of belief in Qada and Qadar in the various walks of life. Some field studies should address why this belief is not understood by the various classes and individuals and set appropriate solutions that help overcome negative effects of the misbelef in Qada and Qadar.